

اجاثا
كريستي
رصاصة
في
الرأس


رصاصة في الرأس

أجاثا كريستي

رصاصة في الرأس

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان
ص.ب: ٨٧٣٧

الفصل الاول

حديث المـائدة

ليس من السهل تحديد الوقت الذي بدأت فيه أحداث هذه القصة . ولكني اخترت للبداية ظهر أحد أيام الأربعاء .. حين كنا نتناول طعام الغـداء في بيتي .. فقد شمل حديثنا حول المائدة موضوعات عديدة .. وتضمن اشارة أو اشارتين لها صلة وثيقة بالأحداث التي وقعت فيما بعد .

كنت قد فرغت من قطع شريحة من اللحم ، حين عبر بذهني خاطر لا يخلق برجل يرتدي مسوح القسوس ويعمل مثلي في خدمة الكنيسة فقلت ان الشخص الذي يقتل الكولونيل بورتيرو يؤدي للانسانية خدمة عظيمة .

وعندئذ هتف دنيس ، ابن أخي ، وهو شاب في السادسة عشرة من عمره.

- هذا كلام خطير يا عماه.. ويمكن أن يؤخذ عليك إذا وجد الكولونيل يوماً غريقاً في بحيرة من الدماء ،وها هي ماري تستطيع أن تشهد بأنك كنت تلوح بالسكين في يدك وأنت تقول هـذا الكلام .. اليس كذلك يا ماري ؟

ولكن ماري لم تجب وراحت توزع علينا الخضر في صمت ، فقالت زوجتي :

– أتراه أقدم على عمل جديد من أعماله المزعجة ؟.

فلم أجبها على الفور ، إذ قدمت لي ماري في تلك اللحظة فطيرة لا تحرك الشهية فقلت لها

- كلا .. شكراً لك

فوضعت ماري الفطائر على طرف المائدة في خشونة وانصرفت ، فقالت زوجتي وفي صوتها نبرة حزم :

- مما يؤسف له انني لست ربة بيت ماهرة .

وكان ذلك أيضاً هو رأيي فيها .

كانت تدعى جريزلدا ، وهو اسم مناسب لزوجة قس ، ولكنها كانت فيما عدا ذلك مجردة من أية صفة أخرى تلائم مركزنا وحياتنا الاجتماعية .

كان رأيي دائماً ان القس لا ينبغي أن يتزوج ، ولست أدري حتى الآن ماذا حملني على ان أتوسل إلى جريزلدا أن تقترن بي ولما تنقض أربع وعشرون ساعة على أول لقاء بيننا .

إن الزواج أمر خطير ولا يجب ان يقدم عليه الإنسان إلا بعد تفكير طويل ، وبعد أن يتحقق من تشابه الميول والأمزجة

وكانت جريزلدا أصغر مني بعشرين عاماً ، وعلى جانب كبير من الجمال ، ولكنها لا تستطيع ان تنظر إلى أمر نظرة جدية ، وقد حاولت أن أقومها وأرشدها ولكني فشلت . قلت لها :

- ليتك فقط تستطيعين الاهتمام بشؤون البيت ولو قليلاً .

- إنني حاولت فكان اهتمامي يؤدي دائماً إلى نتيجة عكسية . والواقع انني لا أصلح ربة بيت ، ولذلك قررت أن أدع ماري تفعل ما تشاء ، وان أرضى بما تقدمه لي من طعام .

- وزوجك المسكين ؟ .

- إنك أحسن حظاً من سواك ، فهناك من رجال الدين والمبشرين من أحرق حياً أو أكلته الأسود .. إن الطعام الرديء والغبار والتراب كلها أشياء تافهة لا ينبغي أن تثير سخطك .. والآن حدثني ، ماذا فعل بك الكولونيل بروتيرو ؟ .

فقال دنيس :

ـ إنه حيوان عجوز ، ولا عجب إذا كانت زوجته الأولى قد هجرته .

فقالت زوجتي : لا أعتقد أنه كان بوسعها أن تفعل غير ذلك .

ثم نظرت اليّ وقالت :

ـ ماذاحدث بينك وبين الكولونيل بروتيرو أيها العزيزة؟.هل شجر بينكما خلاف جديد بسبب مسترهاوس الذي لايكف عن انتقاد كل ما يقع تحت بصره وكان هاوس هو الشماس الجديد الذي نقل الى كنيستنا منذ ثلاثة أسابيع، وكان شديد الحرص على بعض التقاليد الكنسية القديمة التي لا يقرها الكولونيل.

أجبت : كلا .. ولكنه أدلى بتلميحات لم ترق لي في معرض الحديث عن موضوع مسز برايس ريدلي .

وكانت مسز برايس ريدلي، قد تبرعت للكنيسة بعشرين شلناً عقب القداس الذي أقيم لمناسبة مرور عام على وفاة ابنها ، ولكنها دهشت عندما أعلنت قوائم التبرعات ووجدت أن أكبر مبلغ سجل في القائمة هو عشرة شلنات ، وقد شكت اليّ فحاولت اقناعها بأنها ربما أخطأت في ورقة النقد التي قدمتها ، وقلت لها لأنهي الموضوع بلباقة :

ـ لقد تقدمت بنا السن يا مسز ريدلي ، والخطأ والنسيان هما ضريبة الشيخوخة .

ومن عجب أن هذه العبارة أثارتها بدلاً من أن تهدئها ، فقالت ان الأمر يبعث على الريبة، وان ما يدهشها هو انني لم أقف في صفها ، ويبدو أنها روت الموضوع للكولونيل بروتيرو .. وهو رجل يجد لذة خاصة في إثارة الفضائح .

قالت زوجتي في محاولة لتلخيص الموقف دون تحيز :

ـ لا عجب في ذلك.. فهو لا يجد من يلتف حوله ويناديه (أيها القس العزيز) .. ولا من يصنع جوارب من صوف يهديها اليه في أعياد الميلاد..وقد ضاقت به زوجته وابنته ، فمن الطبيعي إذن أن يجد متعة الاحساس بأنه مهم

في ناحية ما !.

- ذلك لا يبرر إساءة الظن بالآخرين.. ولكنني أرجح أنه لم يكن يدرك خطورة كلامه ، فقد طالب بمراجعة حسابات الكنيسة بدعوى أنه يمكن أن يكون هناك اختلاس .. نعم ، انه استخدم كلمة (اختلاس) ، فترى هل يظن انني اختلس أموال الكنيسة ؟.

- لا أحد يظن ذلك أيها العزيز ، إنك فوق الشبهات الى حد تستطيع معه أن تفعل كل ما تريد .

- إن بروتيرو سيحضر إلى هنا غداً مساء ، لكي تراجع الحساب معاً . أما الآن فيجب أن أتفرغ لإعداد موعظة المساء.. فماذا ستفعلين أنت يا جريزلدا؟

- سأؤدي واجبي كزوجة قس.. سأعد الشاي والحلوى وأنتظر المدعوين.

- من دعوت لتناول الشاي ..

فراحت تحصي على أصابع يدها : مس برايس ريدلي ، ومس ويذرباي ، ومس هارتنل ، ومس ماربل الرهيبة ..

فقلت : إن مس ماربل هي أفضلهن جميعاً. إنها على الأقل تقدر روح الدعابة

- إن لها أسوأ لسان في القرية ، فهي تعرف كل ما يحدث وتستخلص منه أسوأ النتائج

كانت جريزلدا أصغر مني سناً كما قلت ، والأسوأ في نظرها ، كان في نظر رجل في مثل سني هو الأصدق والأفضل غالباً .

قال دنيس محدثاً جريزلدا :

- على كل حال يجب أن تسقطيني من حسابك في حفلة الشاي فإنني مدعو للعب التنس مع ابنة بروتيرو .

قال ذلك ونهض واستأذن في الانصراف .

وانتقلت مع زوجتي إلى قاعة المكتب وهناك قالت

- إنني أتوقع كذلك أن يأتي الدكتور ستون ومس كرام ، وربما جاءت

مسز لترانج أيضاً .. وبهذه المناسبة لقد ذهبت أمس لزيارة مسز لترانج ولم أجدها في بيتها ، وأني لأعجب لماذا اختارت هذه القرية للاقامة بها في بيت لا تغادره إلا نادراً .. إنها تذكرني ببطـلات القصص البوليسية اللائي يتساءل الناس عنهن قائلين : من هذه المرأة الغامضة ذات الوجه الشاحب الفاتن ؟. ما ماضيها ؟. لا أحد يعلم .. ولكن ما من شك في أن جواً من الريبة يحيط بها .

وصمتت جريزلدا قليلاً ثم قالت :

– على أنني أعتقد ان الدكتور هايدوك يعرف الكثير عن هذه المرأة .

– انك تسرفين في قراءة القصص البوليسية يا جريزلدا .

– وأنت ؟ إنني بحثت منذ بضعة أيام عن قصة (بقعة على السلم) وكنت أنت في مكتبك تعد موعظة اليوم التالي ، فذهبت اليك لأسألك عمـا إذا كنت قد رأيت القصة .. وماذا وجدت ؟.

فأجبت في خجل :

– انني عثرت عليها مصادفة .. ولفتت نظري عبارة فيها .

فقالت ضاحكة :

– إنني أعرف هذه المصادفات كما أعرف العبارات التي تلفت النظر في القصص البوليسي ..

ثم استطردت قائلة بلهجة تمثيلية :

– ..ومن ثم حدث أمر غريب ، إذ نهضت جريزلدا من مقعدها واجتازت الغرفة وقبلت زوجها العجوز .

قالت ذلك وقرنت القول بالفعل .

سألتها : وما وجه الغرابة في ذلك ؟.

– وجه الغرابة يا ليونارد انه كان في استطاعتي كما تعلم أن اتزوج وزيراً أو لورداً ، او رجلاً ثرياً من اصحاب الشركات ، ولكنني فضلتك على اولئك جميعاً .. ألم يدهشك ذلك ؟.

فضحكت وأجابت :

– فعلت ذلك لأنني كنت أشعر بأنني ذات قوة وسلطان .. كان الآخرون يرونني امرأة غير عادية يطيب لهم الاقتران بي ، أما انت فـانني كنت في نظرك أمثل كل ما تضيق به وتنفر منه ولكنك مع ذلك أحببتني وشعرت بأنك لا تطيق الحياة بدوني .. فدفعني الغرور الى مواجهة التحدي ، وقلت لنفسي انه لا فضل لي أن اكون بالنسبة إلى زوجي نقطة ضعفه ومحور متعته من أن اكون احد مظاهر خيلائه وصلفه ..

انني اضايقك كثيراً ، وأثير اعصابك في بعض الأحيان ، ولكنك رغم ذلك تهيم بي حباً .. اليس كذلك أيها العزيز ؟.

– الواقع انني أحبك كثيراً ..

– بل انت تعبدني .. هل تذكر يوم ذهبت إلى لندن ، وقررت أن اقضي الليلة عند احدى صديقاتي، وأبرقت اليك بذلك ، ولكن البرقية لم تصلك لأن موظفة مكتب البريد ذهبت الى المستشفى لعيادة اختها التي وضعت توأمين؟. هل تذكر كيف كانت حالك في تلك الليلة ؟. لقـــد جن جنونك واتصلت تليفونياً باسكتلنديرد وطلبت اليهم البحث عني..وأقمت الدنيا واقعدتها ..

ان هناك احداثاً يكره الإنسان ان يذكره بها احد ، وقد كانت تصرفاتي في هذا الحادث الذي ذكرته جريزلدا تدعو إلى الرثاء حقاً

قلت لها . معذرة يا جريزلدا ، ولكنني أود اتمام موعظة المساء .

فهتفت قائلة اخل انك لا تقدرني كما ينبغي ، فكن على حذر وإلا قمت بمغامرة مع ذلك الفنان .. واثرت فضيحة مدوية يتردد صداها في انحاء القرية.

– اظن ان لدى القرية من الفضائح ما يكفيها .

فانفجرت ضاحكة ، وأرسلت الي قبلة في الهواء ، وانطلقت الى الخارج.

الفصل الثاني

حول اقداح الشاي

ما كدت أبدأ في إعداد موعظتي حتى دخلت ليتيسيا بروتيرو كالرياح .
وأقول كالرياح لأن ذلك أصدق وصف للمراهقين ذوي الشباب المتوثب والحيوية الدافقة كما تصورهم القصص التي أقرأها عنهم .
كانت ليتيسيا فتاة طويلة القامة شقراء ، وعلى جانب كبير من الجمال ..
دخلت كالريح من باب الحديقة وخلعت قبعتها وهتفت في شيء من الدهشة :
— أهذا أنت ؟.

* * *

كان هناك ممر وسط الغابة يصل بين قصر الكولونيل بروتيرو المعروف باسم القصر القديم وبين حديقتنا .. بل ويمتد إلى نافذة غرفة المكتب ، فيوفر على السائر عناء القيام بحركة التفاف كبيرة للوصول إلى باب بيتنا
ولم يدهشني أن تجيء ليتيسيا عن طريق هذا الممر ، إنما أدهشني انها بهتت حين أبصرت بي ، فقلت لها .
— عندما تجيئين إلى بيت قس الكنيسة فيجب أن تتوقعي مقابلة القس .
فقالت وهي تتهالك على أحد المقاعد :

– هل دنيس هنا ؟.

– انني لم أره بعد الغداء ، وكنت أظن أنه ذهب ليلعب التنس معك .

– أرجو ألا يكون قد ذهب .. فإنه لن يجد أحداً بالبيت .

– ولكنه قال لنا انك دعوته للعب التنس

– ربما .. ولكن الدعوة كانت ليوم الجمعة ، واليوم يوم الثلاثاء

– كلا .. اليوم يوم الأربعاء ..

– يا إلهي ؟. هذه ثالث مرة أتخلف فيها عن تلبية دعوة للغداء عند بعض الأصدقاء ..

ولم تعر الأمر مزيداً من الاهتمام وسألت :

– هل جريزلدا هنا ؟.

– أعتقد انك ستجدينها مع لورنس ريدرنج في المرسم في ركن الحديقة .

– لقد قامت مشادة حادة بين أبي وبيني بشأن لورنس ريدج .. أنت تعرف أبي وتعرف مدى عنفه .

– هل كانت المشادة بسبب امرأة ؟.

– كلا .. وإنما كانت بسبب صورة رسمها لي لورنس وتمثلني مرتدية ثوب الاستحمام .. الثوب الذي أظهر به على شاطىء البحر .

وصمتت قليلا ثم استطردت قائلة

– لقد حظر عليه أبي دخول بيتنا بسبب هذه الصورة ، وكم ضحكت أنا ولورنس من هذا العنت !. وقد جئت الآن لكي يتم صورتي في مرسمكم .

– ولكن .. ما دام أبوك يعارض في ذلك فإن من واجبي أن أعارض بدوري .

فتنهدت وقالت :

– يا إلهي .. كم أنتم مزعجون ! انني تعبت تماماً ، ولو كان لدي بعض المال لرحلت .. ولكنني لا أستطيع شيئاً بدون نقود .. ليت أبي يموت !

كل شيء سيكون على ما يرام إذا مات .

– كيف تقولين كلاماً كهذا يا ليتيسيا ؟.

– إذا أراد ألا أتمنى له الموت فيجب ألا يكون مقتراً إلى هـذا الحد .. لم يعد يدهشني ان أمي هجرته .. هل تعلم اني ظللت طوال سنوات عديـدة أعتقد أنها ماتت، ؟. وبهذه المنـاسبة .. ماذا كان شكل الشاب الذي هربت معه ؟ هل كان وسيماً ؟.

– لقد وقعت هذه الأحداث قبل قدوم أبيك إلى هذه المنطقة .

– انني اتساءل ماذا كان مصير أمي ..على انني أعتقد ان (آن) زوجة أبي سوف تحذو حذوها قريباً .. ان آن تمقتني .. صحيح ان سلوكها معي لا غبار عليه ولكنها تمقتني.. لقدتقدمت بها السن وذلك ما يضايقها ..وسوف يأتي الوقت الذي تضطر فيه إلى الكف عن التظاهر بالشباب .

وبدأت أتساءل عما إذا كانت ليتيسيا تعتزم قضاء بقية النهار في مكتبي .

قالت : هل رأيت اسطواناتي؟.

– كلا .

– هذا مزعج حقاً .. انني تركتها في مكان ما .. وكذلك فقدت كلبي وساعتي .. ولكن لا أهمية للساعة فانها كانت معطلة على كل حال .. يا إلهي ! كم أود أن أنام .. رغم انني استيقظت في الساعة الحادية عشرة صباحاً !. ان الحياة أصبحت متعبة .. اليس كذلك ؟. سأنصرف الآن .. يجب أن أذهب لرؤية حفريات الدكتور ستون في الساعة الثالثة .

فنظرت إلى ساعة على مكتبي وقلت لها ان الساعة قد قـاربت الخامسة فصاحت :

– أحقاً ؟. هذا مخيف .. ترى هل ينتظرونني أم انهم ذهبوا بدوني ؟. لعل الأفضل أن اتحقق بنفسي .

وانبعثت واقفة وانطلقت إلى الخارج ..

واتجه تفكيري بعد انصرافها إلى الدكتور ستون ، عالم الآثار المعروف . الذي قدم منذ فترة وجيزة للبحث عن الآثار في حدائق الكولونيل بروتيرو ونزل مع سكرتيرته مس كرام في فندق (الخنزير الأزرق) .

لقد وقعت مشاحنات كثيرة بين الدكتور ستون والكولونيل ، ولذلك أدهشني أن يدعو ستون ليتيسيا لمعاينة عمله .

وكنت أعلم ان ليتيسيا فتاة متعجرفة ، ولم اتمالك من ان أتساءل ، ترى كيف ستكون العلاقة بينها وبين مس كرام ؟. ان مس كرام فتاة في الخامسة والعشرين ممتلئة نشاطاً وحيوية .. وقد تضاربت الأقوال في حقيقة صلتها بالدكتور ستون ، فقال البعض إنها فتاة جادة ، وقال آخرون بل انها خليلته وستصبح زوجته في وقت قريب .. ومهما يكن من أمر فانها كانت على طرفي نقيض مع ليتيسيا من جميع الوجوه ..

أما (آن) الزوجة الثانية للكولونيل بروتيرو فكانت امرأة ذات جمال فريد ، ولكن العلاقة بينها وبين ليتيسيا لم تكن طيبة .

كنت افكر في كل ذلك عندما أقبل مستر هاوس ، الشماس الجديد .
كان يريد معرفة ما جرى بيني وبين الكولونيل بالتفصيل .
وبعد انصرافه ، لاحظت ان عقربي الساعة يشيران إلى الخامسة إلا الربع .. ولكن الوقت الحقيقي كان الرابعة والنصف ، لأنني تعودت تقديم عقربي الساعة خمس عشرة دقيقة ..

نهضت عن مكتبي ، وقصدت الى قاعة الاستقبال ، ووجدت جريزلدا ومدعواتها حول مائدة الشاي ، فصافحت المدعوات وجلست بين مس ماربل ومس ويذرباي .
كانت مس ماربل سيدة عجوز تبدو في ظاهرها لطيفة وديعة .. على عكس مس ويذرباي التي كانت مزيجاً من المرارة والعنف .. على ان مس ماربل كانت أخطر الاثنتين ..

قالت جريزلدا بصوت معسول :

- كنا نتكلم عن الدكتور ستون ومس كرام .

فقالت مس ويـذرباي بلهجة استنكار :

- إن الفتاة الشريفة لا تفعل ذلك .

وزمت شفتيها ، فسألتها :

- لا تعمل سكرتيرة لرجل أعزب ؟

فقالت مس ماربل:

- لا يجب أن تنسي أيتها الصديقة ان الرجال المتزوجين أسوأ من غيرهم.. ألا تذكرين قصة تلك الفتاة التعسة مولى كارثر .

- لا شك انك تعنين الأزواج المنفصلين عن زوجاتهم ..

- بل وأعني كذلك أولئك الذين يعيشون مع زوجاتهم.. وأني لأذكر..

فقلت مقاطعاً ، لكي أغير مجرى هذا الحديث الذي ينم عن فساد الذوق :

- الرأي عندي ان الفتاة في هذا العصر تستطيع ان تشغل أية وظيفـة كالرجال تماماً .

فقالت مسز ريدلي مستنكرة :

- حتى لو اقتضت الوظيفة أن ترافق رجلاً أعزباً وأن تقيم معه في نفس الفندق ؟.

فهمست مس ويذباري في اذن مس ماربل قائلة :

- وغرفتاهما في نفس الطابق .

وتبادلتا نظرة ذات مغزى .

وقالت مس هارتنل بصوت مرتفع :

- سوف يجد الرجل المسكين نفسه في الفخ دون ان يشعر .. انه ساذج كالأطفال .

وقلبت شفتها واستطردت قائلة في غير كياسة :

- انه لأمر يدعو إلى التقزز .. فهو اكبر منها بخمسة وعشرين عاماً على الأقل ولكنها لم تمض في حديثها إلى أبعد من ذلك .. إذ اختلطت أصوات النساء الثلاث الأخريات في مناقشات مختلفة، ونظرت مس ماربل إلى زوجتي في خبث وقالت جريزلدا :

- ألا تعتقدين أن مس كرام انما تعمل من اجل الوظيفة وحدها .. وانها لا تنظر الى الدكتور ستون الا كرئيس ؟.

وهنا صمتت النساء جميعاً ، ويبدو انهن لم يشاطرن زوجتي هذا الرأي ، وأخيراً قطعت مس ماربل حبل السكوت فقالت وهي تضع يدهـــا على ساعد زوجتي :

- انك ما زلت في مقتبل العمر يا عزيزتي ، ولك براءة الشباب .

- أتظنين حقاً ان مس كرام تسعى للاقتران بهذا الرجل الأصلع المزعج؟

- ما أظنه هو انه رجل ثري .. ويخيل اليّ كذلك انه على خلق .. هل تعلمين ان مناقشة عنيفة احتدمت بينه وبين الكولونيل بروتيرو منذ أيام ؟.

فاشرأبت أعناق النساء لسماع المزيد ، فقالت مس ماربل :

- لقد أتهمه الكولونيل بالغباء ..

فقالت مسز ريدلي :

- هذا امر لا يستغرب من بروتيرو .

وقالت مس ويذرباي :

- هل صحيح أنه تشاجر كذلك مع ذلك الفنان الشاب المدعو ريدنج ؟.

فأومأت مس ماربل برأسها علامة الايجاب وقالت :

- لقد طرده الكولونيل من بيته لأنه رسم صورة لابنته ليتيسيا بالمايوه .

فحبست النساء انفاسهن دهشة وفضولاً ، وقالت مسز ريدلي :

- كنت دائماً ارتاب في وجود صلة بين هذا الفنان وليتيسيا .. لقد كان دائم التردد على القصر القديم .. وانه لما يؤسف له حقاً ان أم الفتاة ليست

معها .. ان زوجة الأب لا يمكن ابداً ان تكون كالأم .
فقالت مس هارتنل
– ولكني مع ذلك اعتقد أن (آن) تبذل قصارى جهدها لإرضاء ابنة زوجها .
فقالت مسز ريدلي :
– هذا صحيح .. ولكن الفتيات ماكرات وخبيثات ..
وقالت مس ويذرباي :
– يا لها من مأساة !. ومع ذلك فانه يخيل الي ان الشاب لا بأس بـه ولا بأس به ولا غبار عليه .
فصاحت مس هارتنل
– بل انه شاب منحل ولا يمكن أن يكون غير ذلك ؟ اليس فناناً ؟. ألم يذهب الى باريس ويستخدم الموديلات العاريات !
فقالت مسز ريدلي :
– لم يكن من اللائق على كل حال أن يرسم صورة للفتاة في ثوب الاستحمام.
فقالت جريزلدا :
– انه يرسم أيضاً صورة لي
فقالت مس ماربل :
– ولكن ليس بالمايوه ايتها الصديقة .
فأجابت جريزلدا في هدوء :
– بل ربما أسوأ .
– يا لك من خبيثة !.
وسألتنى مس ماربل :
– هل حدثتك ليتيسيا العزيزة عن متاعبها؟ انني رأيتها تدخل مكتبك من باب الحديقة .

كانت مس ماربل ترى كل شيء .. بحجة ولعها بفلاحة البساتين .. وكانت تستخدم منظاراً مكبراً .. بدعوى اهتمامها بمراقبة الطيور .

أجبتها ببساطة وإيجاز :

– نعم .

– كذلك خيل إليّ ان مستر هاوس يبدو متعباً .. أرجو ألا يكون العمل قد أرهقه .

وهنا صاحت مس ويذرباي بانفعال :

– عندي نبأ نسيت أن أذكره لكم .. لقد رأيت الدكتور هايدوك خارجاً من بيت مسز لترانج .

فتحولت اليها جميع الأنظار ، وأخيراً قالت مسز ريدلي :

– لعلها مريضة .

فقالت مس هارتنل :

– إذا صح ذلك فلا بد انها مرضت فجأة .. لأنني رأيتها تتنزه في حديقتها حوالى الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم ، وكانت تبدو في صحة جيدة .

فقالت مسز ريدلي :

– لا بد أن بينها وبين الدكتور هايدوك صداقة قديمة .. ولكنه رجل كتوم لا ينطق بكلمة في هذا الصدد .

فقالت جريزلدا بصوت خافت، وبلهجة غامضة، جعلت الأخريات ينحنين إلى الأمام ويرهفن أذانهن ..

– الواقع انني أعرف القصة كلها .. لقد كان زوجها مبشراً والتهمة آكلو لحوم البشر .. واتخذها زعيم القبيلة زوجة له ، وكان الدكتور هايدوك في بعثة هناك فأنقذها .

فران على الجميع سكون عميق مقرون بالدهشة ، إلى أن قالت مس ماربل لزوجتي مؤنبة :

– أيتها الخبيثة .. ليس من الحكمة أن تروي مثل هذه القصص الخيالية .. فقد يصدقها البعض فيكون لذلك رد فعل لا تؤمن نتائجه .

فساد الصمت مرة أخرى ، ثم نهضت اثنتان من المدعوات واستأذنتا في الانصراف ، وقالت مس ويذرباي :

– ما زلت أعتقد ان هناك علاقة بين لورنس ريدنغ وليتيسيا .. ما رأيك أنت يا مس ماربل ؟

فأطرقت مس ماربل برأسها مفكرة ثم أجابت :

– لا أظن ذلك .. ان له علاقة .. ولكن مع شخص آخر غير ليتيسيا .

– ولكن لا بد أن الكولونيل ظن أن هذه العلاقة مع ابنته؟

– لقد كنت دائماً أشعر بأن الكولونيل رجل غبي .. انه من الرجال الذين يضعون في رؤوسهم فكرة خاطئة ولا يتحولون عنها . هل تذكرين حادث جو باكنيل صاحب الفندق الذي ملأ الدنيا ضجيجاً حين ظن ان ابنته تغازل (بايلي) الشاب .. ثم ظهر ان التي تغازل الشاب هي زوجته ؟.

وكانت تتكلم وهي تحملق في وجه زوجتي حتى كدت أن أثور غضباً .. ترى هل كانت تلمح إلى وجود علاقة بين جريزلدا ولورنس ريدنج ؟

قلت لها: ألا ترين يا مس ماربل اننا أطلقنا العنان لألسنتنا أكثر مما ينبغي ان الدين ينهانا عن إساءة الظن بالناس كما تعلمين .. وترديد مثل هذه الشائعات فيه إساءة إلى الآخرين .

فأجابت مس ماربل :

– أيها القس العزيز .. إنك في مركز يضعك فوق هذه الأمور الدنيوية .. أما أنا التي أرقب الطبائع البشرية منذ وقت طويل ، فانني لا أتوقع من الناس خيراً كثيراً .. صحيح ان الثرثرة ليست إحدى الفضائل ، ولكنها كثيراً ما تعبر عن الواقع .. أليس كذلك ؟.

قالت ذلك ونهضت واقفة واستأذنت في الانصراف .

الفصل الثالث

آن ولورنس

ما كاد الباب يغلق وراء المدعوات حتى صاحت جريزلدا :

– يا لهن من عوانس شريرات !

ثم التفتت اليّ وانفجرت ضاحكة ، وقالت:

– أحقاً انك لا ترتاب في انني أغازل لورنس ريدنج ؟.

– طبعاً لا أرتاب أيتها العزيزة .

– ومع ذلك فإنك ظننت أن مس ماربل كانت تعنيني حين ألمحت إلى وجود علاقة بين لورنس وإحدى السيدات. . فتصديت للدفاع عني كالنمر الهائج

فأحسست بشيء من الضيق ، إذ ليس من المألوف تشبيه رجل الدين بنمر هائج ، ولكني كنت واثقاً من أن جريزلدا قد بالغت في الوصف .

على انني انتهزت هذه الفرصة لكي أقول لها مؤنباً :

– ألا ترين أن من الواجب أن تكوني أشد حذراً فيما تقولين يا جريزلدا .

– أتعني ما ذكرته عن قصة آكلي لحوم البشر؟. ام تعني ما ألمحت اليه عن صورة عارية يرسمها لي لورنس ؟. كم اود ان ارى وجوههن حين يعلمن ان الصورة تمثلني في معطف كثيف ذي ياقة عالية ، معطف لا يكشف عن أي جزء من الجسم ويمكن المثول به بين يدي البابا نفسه !. أضف إلى ذلك أن

لورنس لم يحاول قط أن يغازلني .. واني لأتساءل لماذا .

– لا شك أن السبب هو أنك امرأة متزوجة .

– لا تتكلم كمن خرج لتوه من فلك نوح يا ليونارد ، أنت تعلم أن امرأة شابة وجميلة .. ومتزوجة من رجل ناضج أكبر منها سناً ، هي لقطة ثمينة بالنسبة إلى شاب مثل لورنس ! . لا بد ان لسلوكه سبباً آخر .. لأنني لا أفتقر إلى الجمال والفتنة .. اليس كذلك ؟

– هل تودين أن يغازلك ؟.

فأجابت بعد تردد أطول مما ينبغي .

– كلا .

– ثم انه مولع بليتيسيا بروتيرو ؟.

– إن مس ماربل على خطأ .

– ان مس ماربل لا تخطىء أبداً .. إنها من طراز العوانس اللائي لايخطئن

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة وهي تنظر اليّ من ركن عينها :

– أنت تصدقني طبعاً يا ليونارد حين أقول لك انه ليس بيني وبين لورنس شيء ..

– إني أصدقك أيتها العزيزة ..

فأقبلت عليّ وقبلتني وقالت :

– يسرني انك لا تسيء الظن بي ببساطة .. يجب أن تصدقني وتثق بي دائماً.

– هذا ما سأفعله .. ولكنني أرجوك أن تكوني على حذر فيما تقولين ، وأن تذكري دائماً ان اولئك النسوة يفتقرن الى روح الدعابة .. ولا يعرفن المزاح .

– إن ما يفتقرن اليه في حياتهن هو الاثارة .. وهن لذلك يبحثن عنها في حياة الآخرين .

قالت ذلك وغادرت الغرفة .. فنظرت إلى ساعتي ثم غادرت الغرفة بدوري

فقد كانت هناك زيارات ينبغي أن اقوم بها ..

ولم يشهد قداس المساء كثيرون كالعادة ، وعندما هممت بمغادرة الكنيسة، وقع بصري على سيدة تنظر باهتمام إلى زجاج النوافذ . وكان لبعض هـذا الزجاج قيمة أثرية عظيمة .

وسمعت السيدة وقع اقدامي فنظرت حولها ووجدت نفسي وجهاً لوجه امام مسز لترانج .

راح كل منا ينظر الى الآخر في شيء من التردد ، وأخيراً قلت لها:

– أرجو يا سيدتي ان تكون كنيستنا الصغيرة قد اعجبتك .

– انني شديدة الإعجاب ببناها .

كان صوتها هادئاً خافتاً ، ولكنه واضح النبرات ، استطردت قائلة :

– يؤسفني انني لم أكن بالبيت أمس حين جاءت زوجتك لزيارتي .

وتحدثنا بضع دقائق عن الكنيسة .. وكان واضحاً انها امرأة على جانب كبير من الثقافة .. وان لها دراية بالفنون الدينية والكنسية .

وبعد قليل ، غادرنا الكنيسة معاً ، وسرنا في نفس الطريق .. فقد كان يمر ببيتها ويوصل إلى بيتي .

وعندما انتهينا إلى بابها قالت لي بلطف :

– تفضل بالدخول .. أريد ان اعرف رأيك فيما استحدثته في البيت من تعديلات ..

كان البيت فيما مضى ملكاً لضابط بريطاني عمل في الهند ، وقد احسست بالارتياح حين لاحظت ان الموائد النحاسية وتماثيل (بوذا) قد اختفت من الأركان ، وحلت مكانها قطع من الأثاث البسيط تدل على سلامة الذوق .

كان كل شيء حولي يتسم بالتناسق وينم عن الاستقرار ولكني مع ذلك لم اتمالك من التساؤل عن الأسباب التي حملت امرأة كمسز لترانج على القدوم الى (سانت ماري ميد) والاقامة بها ..

كل الدلائل كانت تدل على انها سيدة مجتمع .. فلماذا جاءت لتدفن نفسها في هذه القرية الصغيرة ؟

واتيحت لي في قاعة الاستقبال الفسيحة المضيئة اول فرصة للنظر اليها عن كثب .

كانت امرأة طويلة القامة شقراء الشعر ، سوداء الحاجبين والأهداب ،ولها أعجب عينين وقع عليهما بصري .. عينان شبه ذهبيتين .

وكانت انيقة الثياب في غير تبرج . تتكلم وتتحرك كامرأة من أرقى طبقات المجتمع .. ويحيط بها جو من الغموض . أصابت جريزلدا حين وصفته بأنه مريب .

ودار الحديث بيننا حول أمور عادية .. وتناول الفنون والكتب والكنائس القديمة .. ولكني كنت أشعر طوال الوقت بأن هناك مسائل أخرى تود مسز لنرانج أن تتحدث فيها.

فقد اتفق مرة أو مرتين انني فاجأتها وهي تنظر اليّ خلسة . وخيل الي انها تتردد ولا تستطيع أن تتخذ قراراً . على انه كان من الواضح إنها تتجنب الحديث في المسائل الشخصية . فانها لم تشر من قريب او بعيد إلى زوج او اصدقاء او اقارب ، ومع ذلك فقد كانت في عينيها نظرة توسل تقول : هل استطيع ان اثق فيك ؟. هل استطيع ان افضي اليك بما لدي ؟. لماذا لا تشجعني ؟.

على ان هذه النظرة ما لبثت أن اختفت،وخيل اليّ في لحظة ما انها تريدني على ان اذهب ، فنهضت واقفاً ، واستأذنت في الانصراف ، وقبل ان اغادر الغرفة . نظرت ورائي . ووجدت مس لنرانج تحدجني بنظرة قلقة غامضة .. فقلت لها :

– هل من خدمة أؤديها لكِ ؟

فأجابت على الفور :

– شكراً لك ..

وساد بيننا صمت طويل واخيراً قالت :

– هناك اشياء كثيرة كنت اود ان اعرفها . ولكن لا . لا احد يستطيع معاونتي .. شكراً لك على كل حال .

قالت هذه العبارة الأخيرة بلهجة حاسمة . فلم أجد بداً من الانصراف وانا جد حائر مذهول . ذلك اننا لم نألف الغموض والأسرار في سانت ماري ميد .

والواقع انني ما كدت اغادر بيت مسز لترانج .. حتى وجدت نفسي وجهاً لوجه مع مس هارتنل ..

صاحت وهي تصطنع المرح :

– لقد رأيتك تسير معها فانتظرت خروجك بفروغ صبر . حدثني الآن بكل ما تعلمه !.

– عن اي شيء ؟.

– عن هذه المرأة الغامضة ، هل هي أرملة ؟ هل لها زوج في مكان ما ؟

– ليس في استطاعتي حقاً ان اشبع فضولك ، لأنها لم تحدثني بشيء في هذا الصدد .

– أحقاً .. إذن فيم كان حديثكما الطويل ؟.

– تحدثنا عن الفن والموسيقى والأدب ..

وكانت تلك هي الحقيقة ، ولكن مس هارتنل لم تصدق ولم تقتنع ، وصمتت لحظة لتفكر في سؤال جديد تلقيه عليّ ، فانتهزت هذه الفرصة ، وودعتها ، وهرولت مبتعداً .

وعدت الى البيت من اقصر طريق .. واعني به الطريق الذي يمر أمام حديقة مس ماربل ، ولكني كنت واثقاً من ان نبأ زيارتي لمسز لترانج لم يكن قد وصل بعد إلى اذني جارتي العزيزة .

وخطر لي وأنا أغلق باب السور .. ان القي نظرة على الحظيرة التي تقع في ركن الحديقة والتي جعل منها لورنس ريدنج مرسماً لكي أرى مدى ما تم في صورة جريزلدا ..

وهنا لا بد أن اروي حادثاً هاماً له صلة وثيقة بوقائع هـذه القصة ولكني لم أشر اليه فيما بعد إلا عند الضرورة القصوى

كنت اظن ان لا أحد بالمرسم ، فانني لم أسمع صوتاً يدل على وجود أحد ، كذلك لم يحدث وقع اقدامي على العشب صوتاً ..

وما ان فتحت باب المرسم حتى تسمرت قدماي على عتبته . فقد وقـع بصري في الداخل على رجل وامرأة يتعانقان .

كان الرجل هو لورنس ريدنج ، وكانت المرأة هي مسز بروتيرو .

تراجعت على الفور ، وهرولت إلى مكتبي ، وهناك جلست على أحـد المقاعد ، واشعلت غليوني .. وأخذت أفكر ..

كان ما رأيته في المرسم مفاجأة لي ، زاد من وقعها انني كنت واثقاً بعـد الحديث الذي دار بيني وبين ليتيسيا بعد ظهر ذلك اليوم ان هناك صلة حب بينها وبين لورنس . ويبدو انها هي أيضاً كانت تتوهم ذلك دون أن يخطر لها ببال ان المرأة التي يحبها لورنس هي زوجة أبيها .

ولم يسعني الا الاعتراف بذكاء مس ماربل ، فهي الوحيدة التي لم تخطىء ، وهي الوحيدة التي أدركت الحقيقة ، في الوقت الذي انخدعت أنا فيه تمامـاً بالنظرة التي رنت بها إلى زوجتي وهي تتحدث عن علاقة لورنس باحـدى السيدات .

لم أتصور قط ان تلك السيدة يمكن أن تكون مسز بروتـيرو .. المرأة الهادئة المنطوية على نفسها .

وكنت لا أزال أفكر في ذلك حين سمعت طرقاً على باب الشرفة المطلة

على الحديقة . فقصدت إلى ذلك الباب وفتحته ، لكي أجد أمامي مسز بروتيرو ..

دخلت قبل أن ادعوها للدخول ، وتهالكت على أحد المقاعد وهي تلهث .. وخيل اليّ على الفور إنني لم أرها قبل ذلك أبداً ، فهي ليست المرأة الهادئة المتقوقعة التي أعرفها . كانت أمامي امرأة تضطرم حيوية وتكاد أن تختنق يأساً ..

ولأول مرة لم يسعني إلا الاعتراف بأنها جميلة جداً .

قالت :

– خطر لي أن من الأفضل أن أقابلك . انك رأيت منذ قليل .

ولم تتم عبارتها ، فأومأت برأسي علامة الإيجاب .

قالت بصوت هادىء .

– انه يحبني وأنا أحبه ..

ولم تتمالك من الابتسام رغم يأسها واضطرابها ..

كانت ابتسامة امرأة تتكلم عن شيء جميل رائع واستطردت حين وجدتني الوذ بالصمت :

– هذا في نظرك خطيئة .. اليس كذلك ؟.

– وهل يمكن أن يكون غير ذلك يا مسز بروتيرو ؟.

– كلا !. طبعاً ..

فاستطردت قائلاً بصوت حرصت على أن يكون هادئاً ولطيفاً :

– إنك زوجة .

– أعلم ذلك . اعلم ذلك .. أتظن انني لم أقــل ذلك لنفسي المرة تلو المرة ؟ إنني لست امرأة مبتذلة . كلا .. كلا . إن علاقتنــا لم تتطور إلى الحد الذي تتصوره .

– يسعدني ان أعلم ذلك .

فسألت في جزع :

– هل ستشي بي إلى زوجي ؟

فأجبتها في جفاء :

– من عجب أن اكثر النـــاس يظنون ان القس لا يمكنه ان يتصرف كرجل نبيل .

فرمقتني بنظرة امتنان وقالت :

– إنني امرأة شقية . وقد ضقت بشقائي وأصبحت لا أدري ماذا يجب أن افعل .. انت لا تعرف اية حياة أحياها مع زوجي . لقد كنت دائماً تعسة معه . وليست هناك امرأة تسعدها الحياة معه . ولقد مرت بي لحظـات تمنيت فيها أن يموت ..

ونهضت فجأة ، وأرسلت بصرها عبر الباب المؤدي إلى الحديقة ، وهتفت:

– ما هذا ؟ خيل اليّ انني سمعت وقع اقدام .. لعلها اقدام لورنس .

فقصدت إلى الباب ، وكنت أظنه مغلقاً .. ولكنه لم يكن كذلك ..

أجلت البصر في الحديقة .. ولكني لم أر احداً .. رغم انني كنت موقناً بأنني قد سمعت كذلك وقع اقدام .

ولما عدت ، وجدتها في مقعدها وقد انحنى رأسها فوق صدرها فكانت مثلاً حياً لليأس والقنوط .

راحت تردد :

– ماذا أفعل ؟. ماذا أفعل ؟

فجلست بجانبها ، وقلت لها ما يمليه عليّ الواجب .. وتذكرت وأنا افعل ذلك ، انني نفسي قد تمنيت الموت للكولونيل بروتيرو في صباح ذلك اليوم .

توسلت اليها الا تقدم على أمر لا يمكن الرجوع فيه ، كأن تهجر زوجها وتترك بيتها ، ورجوتها الا تفعل شيئاً من ذلك إلا عند الضرورة القصوى ..

ولكني لا اظن انني اقنعتها .. فإن تجاربي الطويلة في الحياة قد علمتني ان

لا جدوى من محاولة رد العاشق إلى سواء السبيل ، بيد انني استطعت على اي حال ان ادخل على نفسها بعض السكينة .

وشكرتني ، ووعدت بالعمل بنصيحتي .. وانصرفت .. وتركتني نهبة القلق .

كنت أعلم انها الآن امرأة يائسة .. وعاشقة يسيطر قلبها على عقلها .. ومن الممكن ان تقدم على اي عمل ..

كانت تحب لورنس بجنون ووحشية .. كما تحب أية امرأة شاباً اصغر منها سناً .. وذلك امر لا يبشر بخير .

الفصل الرابع

الكولونيل بروتيرو

كنت قد نسيت تماماً اننا دعونا لورنس ريدنج لتنـــاول العشاء في ذلك المساء ، ولذلك دهشت عندما رأيت جريزلدا تقتحم عليّ قاعة المكتب لتقول لي ان المائدة ستكون معدة بعد دقيقتين .

ثم استطردت تقول :
– لقد فكرت فيا قلته لي ظهر اليوم ، فـأشرفت على كل شيء بنفسي ، وأعددت طعاماً شهياً .

واستطيع ان اقول بطريقة عابرة ان الطعام الشهي الذي اعـدته زوجتي أيد ما ذكرته هي عن نفسها حين قالت انها تفسد كل شيء تعنى به ، فقد كان اختيار الوان الطعام ينم عن المبالغة والمظهرية .. بالإضافة إلى ان بعض الطعام قد احترق والبعض الآخر لم يتم نضجه .

وكنت اخشى الا يحضر لورنس على الاطلاق ، فقد كان بوسعـه بسهولة أن يختلق عذراً للتخلف ، ولكنه جاء في الوقت المحدد تماماً ، وانتقلنـا على الفور إلى قاعة الطعام .

كان لورنس ريدنج شاباً وسيماً ذا شخصية جذّابة ، له شعر أسود وعينان زرقاوان خاطفتا البريق .. وقد اجتمعت فيه كل صفات الشاب الكامل ..

فهو في نحو الثلاثين من عمره ، رياضي ماهر وصياد بارع وممثل هـاو .. ومتحدث لبق ، وأظن كذلك انه فنان عصري اصيل رغم انـه افتقر إلى الخبرة في هذا المجال .

وكان من الطبيعي أن يبدو شارد الذهن إلى حد ما في ذلك المساء ، ولكن سلوكه كان ممتازاً ، واعتقد ان جريزلدا ودنيس لم يلاحظا عليه شيئاً غـير عادي ، ومن المحتمل انني ما كنت لألحظ شروده لولا انني اعرف ما اعرف .

وكانت جريزلدا ودنيس مرحين للغاية .. فراحا يسخران من الدكتور ستون ومس كرام ، اللذين كان اسماهما على كل لسان في القرية .

واحسست وانا انصت اليهما .. بأن سن جريزلدا تكاد تكون اقرب إلى سن دنيس منها اليّ .. وكان الفتى يـدعوني بالمعلم ليونارد بينما كان يدعو جريزلدا باسمها .. مما جعلني اشعر بشيء من العزلة والوحدة .

ولم يلبث لورنس ان اشترك معها في الحديث .. ولم ادهش حين تـأبط ساعدي بعد العشاء ، وسار إلى غرفة المكتب .

وما ان انفردنا حتى تغيرت سحنته وقال لي بشيء من الحدة :

– انك عرفت سرنا يا سيدي .. فماذا في نيتك ان تفعل ؟.

ووجدت انني استطيع ان احدثه بحرية اكثر مما تحدثت إلى مسز بروتيرو وتقبل كلامي بصدر رحب ، وقال بعد ان فرغت من حديثي :

– من الطبيعي بحكم وظيفتك كقس ان تقول لي كل هذا الكلام . واظن انك على حق .. ولكن حبنا ليس حباً عادياً .

فلفت نظره إلى ان جميع الرجال منذ بدء الخليقة يرددون هذه العبارة .

وعندئذ ارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة وقال :

– اتريد ان تقول ان كل عاشق يتوهم ان حبه فريد في نوعه ؟. ربما كان هذا صحيحاً .. ولكن هناك امر يجب ان تكون على يقين منه .

واكد لي ان العلاقة بينه وبين (آن) حتى تلك اللحظة لم تتجاوز حدود

الحب الطاهر البريء ، واستطرد قائلاً :

ـ أن (آن) هي اعز واخلص امرأة في الوجود .

فسألته : وماذا سيحدث الآن ، فأجاب بأنه لا يعلم وقال :

ـ لو كانت هذة قصة مما نقرأه في الكتب لمات الزوج العجوز وأراح الجميع .

فنظرت اليه مستنكراً فقال :

ـ لا اعني انني ساطعنه في ظهره بخنجر ، ولكني اشكر من كل قلبي من يقوم بهذه المهمة .. انا واثق من انه لا يوجد في الدنيا كلها شخص واحد يذكر هذا الرجل بالخير .. واني لأعجب كيف لم تفتك به زوجته الأولى .. لقد قابلتها منذ بضعة اعوام وخيل اليّ انها امرأة قوية الإرادة وانه كان بوسعها ان تفعل ذلك ..

انه شيطان رجيم يتحرش بكل إنسان ويثير المتاعب في كل مكان ، ولن يمكنك ان تتصور كم قاست منه آن !. لو كان لدي بعض المال لاختطفتها وذهبت بها بعيداً دون ان اتردد .

قال ذلك وصمت .. فرجوته ان يرحل عن سانت ماري ميد إذ لم يعد ثمة جدوى من بقائه فيها .. ولأن وجوده بالقرية لن يزيد آن إلا شقاء، فان الناس لا يكفون عن الكلام ، وسيصل كلامهم إلى مسامع الكولونيل إن عاجلاً او آجلاً .

ـ ولكن لا احد في القرية يعرف هذه العلاقة سواك .

ـ انك لا تعرف شيئاً عن طباع سكان القرى الصغيرة ايها الشاب ، ان في اعماق كل منهم بوليساً سرياً يرى ويسمع ويسأل ويتكلم .. ويجب ان تصدقني حين اقول لك ان كل شخص هنا يعرف ادق شؤونك واسرارك .

ان انجلترا كلها لا يوجد بها بوليس سري واحد يضارع في براعته هؤلاء العوانس اللائي ليس لديهن ما يشغلهن .

– إذا صح ذلك فلا خوف على سرنا.. لأن الجميع يعتقدون ان ليتيسيا هي محور اهتمامي .

– الم يخطر لك ببال انه يمكن لليتيسيا نفسها ان تعتقد ذلك ؟.

ويبدو ان السؤال كان مفاجأة له ..

قال :

– إن ليتيسيا فتاة غريبة الأطوار ، تبدو في ظاهرها كأنها تعيش في الوهم والخيال ، ولكني اعتقد انها اعمق كثيراً مما تبدو ..اضف الى ذلك انها شديدة الحقد .. انها تضغن على (آن) ولا ادري لماذا .. إنها تمقتها اشد المقت رغم ان سلوك (آن) حيالها كان سلوك ملاك .

وكان ينبغي الا اصدقه .. فان كل امرأة تبدو في نظر عاشقها ملاكاً .. ولكني كنت اعلم ان آن تعطف على ابنة زوجها وتعاملها برفق .. ولذلك ادهشتني روح الكراهية التي انطوى عليها حديث ليتيسيا عن زوجة ابيها بعد ظهر ذلك اليوم .

وانتهى الحديث بيني وبين لورنس عند هذا الحد .. فقد اقبلت جريزلدا ودنيس في هذه اللحظة .. وتهالكت الأولى في احد المقاعد وهتفت :

– يا إلهي !. كم انا مشوقة إلى حادث مثير يبدد هذا الملل !. كأن اشهد جريمة قتل .. او حتى جريمة سرقة ..

فقال لورنس :

– لا اظن انه يوجد بهذه القرية ما يستحق السرقة .. باستثناء طاقم اسنان مس هارتنل .

فضحكت جريزلدا وقالت

– وهل نسيت القصر القديم .. قصر الكولونيل بروتيرو ؟. انه حافل بصحاف فضية وكؤوس ذهبية ولوحات فنية وتحف تقدر قيمتها بآلاف الجنيهات .

فقال دنيس :

– ان الكولونيل العجوز لن يتردد في استخدام مسدسه الضخم في قتل من تحدثه نفسه بالسطو على تحفه .. بل انه سوف يجد لذة كبرى في ذلك .

فقالت جريزلدا :

– اذن يجب ان تكون الخطوة الأولى هي شد وثاق الكولونيل . من منكم لديه مسدس ؟.

فأجاب لورنس :

– إن لدي مسدساً من طراز موزر .

– احقاً ؟. كيف حصلت على سلاح كهذا ؟.

فأجاب لورنس بايجاز ·

– انه من ذكريات الحرب .

فقال دنيس :

– لقد عرض الكولونيل مقتنياته وتحفه على الدكتور ستون فأبدى هذا الأخير اهتماماً بالغاً بها .

فقالت جريزلدا :

– الم يتردد انهما تشاحنا بسبب الحفريات ؟.

فقال دنيس :

– اعتقد انهما تصالحا .

فقال لورنس :

– ان هذا الدكتور ستون يثير دهشتي .. لقد خيل اليّ في بعض الأحيان انه لا يعرف شيئاً عن الآثار والحفريات .

فقال دنيس ضاحكاً :

– ولكنه يعرف الكثير عن الحب .

– اظن انني يجب ان اذهب الآن .. شكراً جزيلاً على هذه الأمسية الجميلة

يا مسز كليمنت .

ورافقته جريزلدا ودنيس الى الخارج ، وبعـد بضع دقائق عادت زوجتي وهي تقول :

– لقد جاءت مس ويذرباي الآن وذهبت ، ولم تمكث الا ريثما قالت ان مسز لترانج غادرت بيتهـا في الساعة الثامنة والربع ولم تعد الى الآن .. ولا يعلم احد اين ذهبت .

– وماذا يهم الناس من ذلك .

– ثم قالت انهـا واثقة من ان مسز لترانج لم تذهب الى الدكتور هايدوك لانها اتصلت تلفونياً بمس ويذرباي التي تقطن بجوار الدكتور وعلمت منها انها لم تر مس لترانج .

– الحق انني لا ادري كيف يجد اولئك الناس وقتاً لتناول الطعام لا بد انهم يتناولون وجباتهم وقوفاً امام النوافذ حتى لا تفوتهم صغيرة او كبيرة .

فقالت جريزلدا ووجهها يطفح بشراً :

– ليس ذلك كل ما هنالك .. لقد اكتشفت ايضاً ان الدكتور ستون ومس كرام يقيمان في غرفتين متلاصقتين بالفندق ولكن ..

وهزت اصبعها لتؤكد اهمية العبارة التالية وقالت .

– ولكن . ليس هناك باب يوصل بين الغرفتين .

– وا أسفـاه ..

فانفجرت جريزلدا ودنيس ضاحكين .

وقد بدأ اليوم التالي بداية سيئة . اذ اختلفت اثنتـان من السيدات على ايهما تقوم باعادة طـلاء جدران الكنيسة على نفقتها ، واضطرت الى التدخل لانهاء الخلاف .. ثم كان علي كذلك ان اعمل على تهدئة عازف الأرغن الذي كان غاضباً لسبب ما ..

وكنت في طريقي الى البيت حين قابلت الكولونيل بروتيرو .

كان مرحاً خلافاً للعادة ، فقد اصدر لتوه ، بصفته قاضي الناحية ، حكماً بغرامة فادحة على ثلاثة اشخاص اتهمو بسرقة الصيد .

قال لي بصوت مرتفع كما هي عادة المصابين بضعف السمع :

– لا بد من الشدة في معاملة هؤلاء الاشقياء .. وقد قيـل لي ان احدهم ، وهو ذلك الوغد المدعو آرثر ، قد هدد بالانتقـام مني . ولكني سأعلمه معنى الانتقام اذا مثل أمامي مرة أخرى لقد حاول ان يثير شفقتي عليه من أجل زوجته وأولاده .. ولكن القانون هو القانون ويجب ان يأخذ مجراه .. انك معي في هذا الرأي . أليس كذلك ؟

– هل تنسى أن وظيفتي كقس تحتم علي ان أضع فضيلة اخرى قبل سائر الفضائل .. ألا وهي الرحمة ؟.

– هذا حسن .. ولكني رجل عــــادل .. فهل هناك من يقول عني غير ذلك ؟.

ولكني لزمت الصمت فقال في خشونة :

– لماذا لا تتكلم ؟. فأجبته بعد تردد قصير :

– الحق يا كولونيل بروتيرو .. انني لا أود حـين اقف بين يدي الله ان تكون شفاعتي الاخيرة هي انني كنت عادلاً . ان معنى ذلك انني يجب ان أحاسب بالعدل دون رحمة ..

– أنا اؤدي واجبي فحسب . ولكن دعنا من ذلك الآن .. انني سأذهب لمقابلتك هذا المساء كما اتفقنا .. وليكن ذلك في الساعة السادسة والربع بدلاً من السادسة فان لدي اعمالاً في القرية يجب ان أنجزها .

– اتفقنا .

ومضى في طريقه وهو يلوح بعصاه . وما ان تحولت لأواصل السير حتى وجدتني وجهاً لوجه امام مستر هاوس شماس الكنيسة .

كان في نيتي ان اؤنبه لأنه ترك بعض الأعمال ولم ينجزها ، ولكني رأيته

شاحب الوجه بادي التعب ، فنصحت له ان يأوي الى فراشه طلباً للراحة .
وتناولت طعام الغداء بسرعة ، وغادرت البيت للقيام ببعض الزيارات ،
وانتهزت جريزلدا هذه الفرصة للسفر الى لندن للتسوق .
وعدت الى البيت في حوالي الساعة الرابعة الا الربع ، لكي أعد لموعظة الأحد التالي ، ولكني ما كدت أدخل البيت حتى قالت ماوي أن لورنس ريدنج ينتظرني في مكتبي .
وجدته يذرع أرض الغرفة جيئة وذهاباً وهو شاحب الوجه بادي الاضطراب والقلق .
قال حالما رآني :
– انني فكرت فيما قلته لي بالأمس ، وفكرت طويلاً ولم يغمض لي جفن .. وأظن انك على حق .. انني سأقطع صلتي بآن وأرحل .
– هذا خير ما تفعل يا بني .
– انك كنت على حق فيما يتصل بآن بصفة خاصة ان بقائي هنا لن يزيدها إلا شقاء . ولذلك عولت على الرحيل
– الواقع ان هذا هو الحل الوحيد الممكن .. انه مؤلم بالنسبة لكليكما ولكنه افضل الحلول .
فصمت قليلاً ثم قال :
– انني أعهد اليك بآن .. فهي بحاجة الى صديق .
– كن مطمئناً . فلسوف أبذل لها كل ما بوسعي
– شكراً لك يا سيدي .. انك رجل طيب .. سأذهب الليلة لوداعها ثم أحزم حقائبي وأرحل في الصباح وشكراً لك مرة أخرى على انك أفسحت لي حظيرتكم .. ويؤسفني انني لم أتمكن من اتمام صورة زوجتك .
– لا عليك من ذلك يا ولدي العزيز .. استودعك الله .

* * *

وحاولت بعد رحيله أن أشرع في كتابة موعظتي . ولكن دون جدوى.. اذ ظلت أفكاري طول الوقت تحوم حول لورنس ريدنج وآن بروتيرو

وحول الساعـــة الخامسة والنصف ، تلقيت محادثة تليفونية بأن مستر أبوت - صاحب احدى المزارع - يحتضر .. وانني يجب ان أذهب اليه على وجه السرعة لأكون الى جواره في ساعته الأخيرة .

وعلى الفور ، اتصلت تليفونياً بقصر الكولونيل بروتيرو ، لأن مزرعة مستر أبوت تقع على بعد ميلين ، ولا يمكن ان أعود منها في الساعة السادسة والربع . وهو الموعد الذي حدده بروتيرو لزيارتي

وقيل لي في القصر ان الكولونيل غير موجود ، فغادرت البيت بعد أن قلت لماري انني سأبذل قصارى جهدي لكي أعود في الساعة السادسة والنصف.

الفصل الخامس

المحقق

كانت الساعة أقرب الى السابعة منهـا الى السادسة والنصف عندما عدت الى البيت قادماً من باب الحديقة حين فتح هذا الباب وخرج منه لورنس ريدنج.

ورآني .. وجمد في مكانه .

واذهلني منظره فقد كان أشبه برجل فقد عقله .

كان شاحب الوجه ، شارد البصر ، وكل جسده يرتجف .

وخطر لي لأول وهلة انه ربما كان ثملا .

قلت له :

- هل عدت لمقابلتي؟.يؤسفني انني لم أكن موجوداً. تفضل بالدخول.. انني على موعد مع بروتيرو .. ولكن اجتماعنا لن يستغرق وقتاً طويلاً .

فقال : بروتيرو ؟.

وانفجر ضاحكاً واستطرد قائلاً

- بروتيرو ؟. حسناً . انك ستراه . يا الهي !

فمددت اليه يدي لاصطحابه الى الداخل، ولكنه تراجع الى الوراء وصاح:

كلا .. دعني اذهب .. انني بحاجة الى ان أفكر ..

وانطلق يعدو ، وما لبث ان اختفى في الطريق الموصل الى القرية .

وبقيت في مكاني لحظة ، وقد زاد يقيني بأنه ثمل .

واجتزت الحديقة إلى البيت ، وعلى الرغم من ان الباب كان مفتوحاً ، فانني ضغطت الجرس بطريقة تلقائية ، وأقبلت ماري مهرولة وهتفت وهي تجفف يديها في مئزرها :

– أهذا أنت يا سيدي ..

فسألتها : هل جاء الكولونيل بروتيرو ؟.

– انه ينتظرك بالمكتب منذ الساعة السادسة والربع .

– هل رأيت مستر ريدنج ؟.

– نعم .. انه سأل عنك منذ بضع دقائق ، فقلت له انك ستعود بين لحظة وأخرى ، وان الكولونيل ينتظر بالمكتب ، فقال انه سينتظرك هناك أيضاً .. ولا بد انهما معاً الآن .

– كلا .. لقد قابلته عند باب الحديقة منذ لحظة .

– انني لم أشعر بانصرافه . لا بد أنه لم يمكث اكثر من دقيقتين

ثم أردفت قائلة :

– ان سيدتي لم تعد من لندن بعد .

فأطرقت برأسي ، ومضت ماري إلى المطبخ ، بينما سرت في لدهليز الموصل إلى غرفة المكتب . وفتحت الباب .

وكان الدهليز مظلماً، فبهر بصري ضوء الشمس الساطع الذي يملأ الغرفة .. وظللت لحظة لا أرى شيئاً .. ثم تقدمت خطوة أو خطوتين . وتوقفت فجأة.

ومرت بي لحظة خاطفة عجزت خلالها عن فهم ما أرى .

كان الكولونيل جالساً على أحد المقاعد وقد سقط رأسه فوق المكتب ، والدم يسيل من رأسه ويتجمع على المكتب ويتساقط على الأرض نقطة فنقطة بصوت مكتوم مخيف .

غالبت ذعري وذهولي واقتربت من الجثة ولمستها .

كانت باردة تماماً .

تناولت إحدى اليدين ورفعتها .. ثم تركتها فسقطت بلا حياة ..

لقد مات الرجل برصاصة في الرأس .

أسرعت إلى الباب وناديت ماري فـأقبلت مهرولة فأمرتها أن تسرع إلى الدكتور هايدوك الذي يقع بيته في ركن الشارع وان تطلب اليه الحضور على وجه السرعة لأن حادثاً قد وقع .

وعدت إلى قاعة المكتب وأغلقت بابها ، وانتظرت قدوم الطبيب ..

ومن حسن الحظ ان ماري وجدته في بيته فجاء مسرعاً

كان رجلاً قصير القامة بديناً .. ولكنه كريم ، طيب القلب .

أشرت إلى الجثة دون ان أنطق بكلمة .. ولم يبد على هـايدوك ، ككل طبيب يحترم نفسه ومهنته ، أي اثر للدهشة او الانفعال ، وانحنى على الجثـة يفحصها وفرغ من ذلك بسرعة ، واعتدل واقفاً ، فسألته :

– ماذا وجدت ؟.

– إنه مات .. مات منذ أقل من نصف ساعة .

– انتحار ؟.

– مستحيل . انظر إلى مكان الجرح . ثم هب انه قتل نفسه ، فـأين السلاح ؟

والواقع .. إنه لم يكن بالغرفة أي أثر لأي سلاح .

قال هايدوك :

– يجب ألا نمس شيئاً . وسأتصل الآن بالشرطة .

قال ذلك ، وتناول السماعة ، واتصل بمركز الشرطة ووصف الحادث بايجاز شديد ثم وضع السماعة وتحول اليّ وقال

– جريمة قذرة !. كيف اكتشفت الحادث ؟

فرويت له ثم سألته :

– أواثق أنت من أن في الأمر جريمة ..

– ماذا يمكن أن يكون غير ذلك ؟. انه لحادث عجيب حقاً .. انني أعلم ان هذا العجوز التعس لم يكن محبوباً .. ولكن الإنسان لا يقتل لمجرد انه غير محبوب .

– هنالك امر أثار حيرتي . لقد طلبت بعد ظهر اليوم لزيارة مريض قيل لي انه يحتضر .. فلما ذهبت اليه ، دهشت اسرته ، وقالت انه بخير وان صحته اخذت في التحسن منذ بضعة ايام ، ونفت زوجته نفياً باتاً انها اتصلت بي تليفونياً وطلبت قدومي .

فقطب هايدوك حاجبيه وقال :

– فهمت .. انهم أرادوا ابعادك عن البيت .. ولكن أين زوجتك ؟.

– إنها ذهبت إلى لندن .

– والخادمة ؟

– في مطبخها في الجانب الآخر من البيت .

– إذن فمن المحتمل إنها لم تسمع شيئاً .. ولكن هل كان هناك من يعلم ان بروتيرو سيحضر إلى هنا الليلة ؟.

– انه ضرب لي هـــذا الموعد صباح اليوم وسط القرية . وكان يتكلم بصوت مرتفع كما هي عادته .

– معنى ذلك ان كل القرية كانت تعلم .. ولكن حدثني . هـــل تعرف شخصاً بعينه يحقد عليه إلى حد يدفعه إلى قتله ؟.

وهنا تذكرت اضطراب لورنس وامتقاع وجهه .

وفي هذه اللحظة سمعت جلبة في الدهليز ، فقال هايدوك وهو ينهض واقفاً .

– جاء رجال الشرطة ..

ولكن القادم كان شرطياً واحداً هو الرقيب هيرست ، قال :

– طاب مساؤكما إن المفتش سيحضر بعد لحظات ، وسأنفذ تعليماته إلى

أن يحضر .. لقد قيل لي ان الكولونيل وجد ميتاً هنا في بيت القس

ونظر اليّ بارتياب ، ولكني صمدت أمام نظرته صمود الرجـــل البرىء المطمئن .

واقترب الشرطي من المكتب وهو يقول :

– لا يجب ان يمس شيء قبل قدوم المفتش .

ثم أخرج من جيبه دفتراً وقلماً ونظر اليّ نظرة المحقـق ، فرويت له مرة أخرى كيف وجدت جثة بروتيرو ، وسجل الشرطي ما رويته ثم تحول إلى الدكتور وسأله :

– ما رأيك في طريقة حدوث الوفاة يا دكتور هايدوك ؟.

– حدثت من رصاصة في الرأس .

– والسلاح ؟.

– لا استطيع ان اجزم في امره برأي قبل ان افحص الرصاصة ، ولكني أعتقد ان الرصاصة أطلقت من مسدس صغير العيار .. كالمسدس طراز موزر.

وهنا تذكرت حديث لورنس حين قال انه يملك مسدساً ، ولكني آثرت الصمت ، فإن ما جال بخاطري كان مجرد شكوك يحسن ان احتفظ بها لنفسي.

قال الشرطي :

– متى حدثت الوفاة فيما تعتقد يا دكتور ؟.

فأجاب هايدوك بعد تردد قصير :

– منذ نصف ساعة .. لا أكثر .

فتحوّل الشرطي اليّ وسأل :

– هل سمعت خادمتك شيئاً ؟.

– كلا .. ولكن يحسن بك ان تسألها .

وفي هذه اللحظة ، جاء المفتش لاندرومي قادماً بالسيارة من (بنهام) . كان رجلاً أسمر البشرة جم النشاط ، تتحرك عيناه السوداوان في محجريهما

بسرعة عجيبة ، ولكنه فظ مغرور .

وقد رد تحيتنا بإيماءة من رأسه ، ثم تناول الدفتر من يد هيرست ، وقرأه بعناية ، وتبادل مع هيرست بضع عبارات بصوت خافت ، ثم اقترب من الجثة بخطى سريعة ، وقال :

- لا بد انكم عبثتم بكل شيء هنا .

فقال هايدرك : إنني لم أمس شيئاً .

- وانا كذلك .

فنظر المفتش طويلاً إلى الأشياء المبعثرة فوق المكتب ، ثم نظر إلى بحيرة الدم كما لو كان يريد أن يستجوبها ، وأخيراً قال :

- هوذا ما نبحث عنه .. لقد ارتطم الرأس عند سقوطه بالساعة التي كانت فوق المكتب فسقطت وتهشمت.. وسنعرف الآن الوقت الذي ارتكبت فيه الجريمة .. هأنذا أرى أن الساعة قد توقفت عند السادسة و ٢٢ دقيقة .. ماذا قلت عن الوقت الذي حدثت فيه الوفاة يا دكتور ؟.

- قلت انها حدثت قبل قدومي بنحو نصف ساعة .

فنظر المفتش في ساعته وقال :

- الساعة الآن السابعة و ٥ دقائق، وقد أنبأوني بالحادث منذ عشر دقائق أي في الساعة السادسة و ٥٥ دقيقة وقد اكتشفت الجريمة حول الساعة السادسة و ٤٥ دقيقة . فحضرت أنت فوراً ، وفحصت الجثة فيما لا يقل عن ١٠ دقائق معنى ذلك أن هذه الساعة تحدد وقت ارتكاب الجريمة بالضبط .

فقال هايدوك : إنني حددت وقت الوفاة على وجه التقريب .

وهنا حاولت أن اتكلم .. فقلت :

إن هذه الساعة ..

ولكن المفتش قاطعني بقوله :

- معذرة يا سيدي .. انني لم أطلب اليك الكلام .. إن الوقت يمر

بسرعة .. وما أريده هو الصمت المطلق .

اصمت ..

وفحص المفتش المكتب ثم قال :

– لماذا جلس أمام المكتب على هذا النحو ؟. هل كان يريد ان يكتب شيئاً .. آه .. ما هذا ..

وأمسك بورقة لوح بها وفي عينيه نظرة فوز .

كانت الورقة تحمل اسم الكنيسة .. وقد كتب في اعلاها :

الساعة السادسة و ٢٠ دقيقة .

ثم هذه الكلمات :

عزيزي كليمنت ..

يؤسفني انني لا استطيع الانتظار اكثر من ذلك إذ يجب

وانتهت الرسالة بجرة قلم مضطربة لا تعني شيئاً ..

قال المفتش .

– ان الأمر واضح .. لقد جلس ليكتب هذه الرسالة فدخل القاتل من باب الشرفة وتسلل خلفه وهو يكتب وأطلق عليه الرصاص .

فشرعت أقول :

– أريد ان اوضح ..

فقاطعني انني لم أسألك رأيك .. سنبحث الآن عما إذا كانت توجد آثار أقدام ..

فقلت باصرار أرى من واجبي ان اقول لك ..

فقاطعني لاندرومي مرة اخرى قائلاً بحزم :

– سندخل في التفصيلات فيما بعد ، أما الآن فإنني ارجوكما مغادرة هذه الغرفة .

فأطعنا وكأننا تلميذان صغيران ..

وكان يخيل اليّ أن ساعات طويلة قد انقضت منذ اكتشاف الحـــادث ، والحقيقة ان الساعة لم تكن قد تجاوزت السابعة والربـع .

قال هايدوك :

– إذا احتاج اليّ هذا الحمار المغرور فقل له ان يتصل بي في عيـادتي .. إلى اللقاء .

وما ان انصرف هايدوك حتى جاءت ماري لتنبئني بـأن جريزلدا عادت منذ خمس دقائق ، فلحقت بزوجتي في قاعة الاستقبال ، ووجدتهـــا في حالة ذعر وانفعال .

رويت لها ما حدث ، وأصغت اليّ باهتمام شديد ، وختمت روايتي بأن قلت :

– وقد كتب بروتيرو رسالته في الساعة السادسة والدقيقة العشرين ، بينما أشار عقربا الساعة المحطمة إلى الساعة السادسة والدقيقة ٢٢.

فقالت جريزلدا :

– ألم تقل للمفتش اننا تعودنا تقديم الساعة ١٥ دقيقة ؟

– حاولت مراراً ان اقول له ذلك فأبى ان ينصت اليّ .

فقطبت حاجبيها وصمتت لحظة ثم قالت :

– ولكن ذلك يغير الوضع تماماً .. لأنه إذا كان عقربا الساعة قـــد توقفا عند السادسة و ٢٢ دقيقة فان الساعة في الواقع كانت السادسة وسبـع دقائق .. وفي هذا الوقت لم يكن الكولونيل بروتيرو قد وصل إلى بيتنا .

الفصل السادس

القبعة الصفراء

اثار موضوع عقربي الساعة المهشمة اهتمامنا .. وكان من رأي زوجتي ان اقوم بمحاولة جديدة للفت نظر المفتش الى هذه الحقيقة ولكني رفضت ..

لقد ابدى لاندرومي خشونة لا مبرر لها وأبى ان ينصت الي ، ولذلك قررت الا افضي اليه برأيي إلا إذا سألني .. وكنت اتوقع ان يجتمع بي قبل ان يغادر البيت ، ولكني دهشت حين انبأتني ماري بأنه انصرف بعد ان أشرف على نقل جثة الكولونيل بروتيرو إلى عيادة الدكتور هايدوك لتشريحها ثم اوصد باب قاعة المكتب بالمفتاح وطلب الا يدخلها احد .

وقررت جريزلدا ان تذهب إلى قصر الكولونيل .

قالت :

– لا بد ان تكون (آن) في حالة يرثى لها .. وربما استطعت ان أعاونها وارفه عنها .

فوافقت عن طيب خاطر ، وطلبت اليها ان تتصل بي تليفونياً اذا تطلب الأمر وجودي مع مسز بروتيرو .

وعقب انصرافها ، عاد دنيس من مباراة للتنس ، وقد انفعل بفكرة وقوع جريمة قتل في بيت قس .. قال :

– لطالما تمنيت ان اجد نفسي وسط مأساة من هذا النوع .. ولكن لماذا اوصد البوليس باب قاعة المكتب في حين يمكننا فتحه بمفتاح آخر ؟.

ولكني بطبيعة الحال رفضت بحث مثل هذا الاقتراح ..

وبعد ان سمع دنيس مني كافة التفصيلات .. انطلق إلى الحديقة للبحث عن آثار قد ترشد الى القاتل ..

وعادت جريزلدا بعد ساعة تقريباً ..

قالت إنها قابلت (آن) حينما كان المفتش ينهي اليها نبأ مصرع زوجها ، وانها فهمت من اقوال الزوجة التعسة انها رأت زوجها للمرة الأخيرة في القرية في الساعة السادسة الا الربع .. وانها ليس لديها أية معلومات يمكن ان تلقي ضوءاً على الجريمة ..

واستطردت جريزلدا قائلة : ان لاندرومي انصرف بعد ذلك على ان يعود في اليوم التالي لإجراء تحقيق مفصل .. وان سلوكه كان مهذباً ولا غبار عليه .

فسألتها :

– وكيف استقبلت مسز بروتيرو النبأ ؟.

– كانت هادئة تماماً .. ولكن ألم تكن كذلك دائماً ؟.

- الواقع انني لا استطيع ان اتصور آن بروتيرو في حالة انهيار عصبي .

– لا بد ان الصدمة كانت قاسية ..ولكنها واجهتها بثبات ، وشكرتني على انني ذهبت لزيارتها .. وقالت بحزن انني لا استطيع ان افعل شيئاً من اجلها .

- وليتيسيا ؟.

– إنها ذهبت لتلعب التنس في مكان ما .. ولم تكن قد عادت .

وصمتت قليلاً ثم قالت :

– الحقيقة يا ليونارد انه خيل الي ان آن في حالة غير عادية ..

– من اثر الصدمة بلا شك .

– كلا .. لقد خيل الي انها خائفة اكثر منها حزينة .

– خائفة ؟.

– نعم .. كان في عينيها نظرة غريبة .. وقد سألتني مراراً ، وبالحاح ، عما إذا كان الشرطة يرتابون في احد .

– احقاً ؟.

وفي هذه اللحظة دخل دنيس وهو يلهث وقال انه عثر على آثار أقدام على العشب وانه واثق من ان المفتش لم يفطن إلى هذه الآثار التي سوف تميط اللثام عن القاتل ..

وقضيت ليلة مضطربة وعندما استيقظت في الصباح وجدت دنيس يجوب البيت للبحث عن اثر جديد .

ولكن الأنباء الجديدة المثيرة لم تصلنا عن طريقه ، وإنما عن طريق ماري ، إذ لم نكد نجلس حول المائدة لتناول طعام الافطار حتى دخلت ماري مسرعة ، وهي لامعة العينين موردة الخدين وهتفت قائلة :

– هل تتصور ذلك يا سيدي ؟. لقد قال لي الخباز أنهم القوا القبض على مستر ريدنج .

ولم تصدق جريزلدا اذنيها وصاحت :

– القوا القبض على لورنس ؟. ولكن ذلك مستحيل .. لا بد ان في الأمر خطأ .

– كلا يا سيدتي .. ليس هناك خطأ .. لأن مستر ريدنج هو الذي اسلم نفسه .. ذهب إلى مركز الشرطة ليلة امس وقدم مسدسه واعترف بأنه القاتل .

قالت ذلك ونظرت الينا باهتمام ، ولما اطمأنت الى انها نجحت في اثارة دهشتنا .. هزت رأسها ، وانصرفت .

قالت جريزلدا وهي تنظر اليّ في ذهول :

– لا يمكن ان يكون ذلك صحيحاً ..

ولم اجب فصاحت

– لماذا لا تجيب ؟. هل تعتقد ان ذلك صحيح ؟.

وكان من الصعب ان اجيب على هذا السؤال ، فلزمت الصمت ، بينما كانت آلاف الخواطر تدور في رأسي .

فقالت جريزلدا :

– لا بد أنه جن .. او ربما كان هو والكولونيل يفحصان مسدساً فانطلقت منه رصاصة .

– لا أظن ذلك !.

– من المؤكد ان الحادث وقع قضاء وقدراً .. والا فلأي سبب يقدم لورنس على قتل الكولونيل ؟.

وكان في استطاعتي ان اجيب على هذا السؤال اجابة دقيقة ، ولكنني اردت ان أجنب (آن) الفضيحة ما استطعت الى ذلك سبيلاً ، لقد كان لا يزال هناك امل في ان لا يذكر اسمها في التحقيق .

قلت لزوجتي :

– لا تنسي انهما تشاجرا ..

– اعلم انهما تشاجرا بسبب صورة ليتيسيا .. ولكن ذلك لا يبرر قتل بروتيرو .

– الحقيقة يا جريزلدا اننا ما زلنا نجهل جميع الظروف المحيطة بالحادث .

– انني واثقة من ان لورنس لم يمس شعرة من رأس بروتيرو .

– هل يجب ان اكرر مرة اخرى انني عندما قابلته عند باب الحديقة كان اشبه بالمجانين ؟.

– مستحيل.. مستحيل ..

– ثم هناك مسألة الساعة المهشمة .. لا بد ان اورنس قد عبث بها .. وجعل عقربيها يشيران الى السادسة و ٢٢ دقيقة لكي يجيء دليلاً على براءته .

– انت مخطيء يا ليونارد .. فإن لورنس يعلم اننا نقدم الساعة دائماً ١٥ دقيقة وكثيراً ما قال : (ان تقديم عقربي الساعة هو ما يتيح للقس المحافظة على مواعيده) .. كلا .. كلا .. يستحيل ان يكون قد ارتكب غلطة وضع عقربي الساعة عند السادسة و ٢٢ دقيقة .. كان احرى به ان يضعها بحيث يشيران الى اي وقت آخر .. الى السابعة الا ربع مثلاً ..

– لعله كان يجهل الوقت الذي حضر فيه بروتيرو .. ولعله نسي اننا نقدم ساعتنا خمس عشرة دقيقة .

فهزت رأسها بارتياب وقالت :

– كلا .. ان الشخص الذي يرتكب جريمة لا تفوته ادق التفصيلات .

وقبل ان اتمكن من الإجابة ، سمعت صوتاً هادئاً يقول :

– معذرة عن الازعاج .. ولكن في هذه الظروف المحزنة ..

كان صوت جارتنا مس ماربل .. فرحبنا بها ، قالت وهي تجلس على المقعد الذي قدمته لها :

– حادث مخيف . أليس كذلك ؟. مسكين بروتيرو . كان رجلاً مقيتاً .. ولكن موته على هذا النحو يبعث على الحزن . هل قتل في قاعة المكتب كما قيل لي ؟

فأومأت برأسي علامة الايجاب فقالت تحدث زوجتي :

– أظن ان القس العزيز لم يكن بالبيت وقت وقوع الحادث ؟.

فرويت لها ما حدث بالتفصيل ، فقالت وهي تدير البصر حولها :

– وأين دنيس ؟. انني لا أراه .

فأجابتها جريزلدا :

– انه يقوم بدور البوليس السري ، ويبــدو انه عثر على آثار أقدام في الحديقة . ولعله ذهب ليخبر الشرطة .

– هل يعتقد دنيس انه عرف القاتل ؟. اننا جميعاً نعرفه ..

– هل هو الفنان ؟.

– لست أعني ذلك . انما أعني ان كل انسان في القرية يشتبه في قاتــل مختلف .. فأنا مثلاً اعتقد انني اعرف القاتــل .. ولكنني لا املك دليلاً .. ولذلك أجد من الحكمة أن ألزم الصمت حتى لا أتورط في قضية قذف .. وقد قررت ان ألتزم بالحذر وخاصة مع المفتش لاندرومي اذ، اتصل بي وحــدد موعداً لمقابلتي صباح اليوم ، ثم عاد فاتصل بي مرة أخرى لالغاء الموعد .

فقلت :

– لا بد انه لم ير ضرورة لسماع أقوالك بعد ان اعتقل المتهم .

فانحنت مس ماربل الى الأمام وهتفت بجدة :

– اعتقل المتهم ؟ لا علم لي بأنه اعتقل أحداً .

وأدهشني أنها لا تعرف آخر التطورات وأجبتها :

– انه اعتقل لورنس ريدنج .

وبدت عليها دلائل الدهشة فقالت زوجتي :

– انا أيضاً لا أصدق .. رغم انه اعترف .

– اعترف ؟ تقولين انه اعترف ؟

– انني واثقة من ان الحادث وقع قضاء وقدراً، وإلا ما ذهب وأسلم نفسه.

فانحنت مس ماربل الى الأمام مرة اخرى وسألت :

– تقولين أنه سلم نفسه ؟.

– نعم .

فتنهدت مس ماربل بارتياح وقالت :

– آه ما أشد ارتياحي لذلك .

فنظرت اليها بدهشة وسألتها :

– شعر بالندم ؟. لا شك انك لا تعتقد بأنه مذنب أيها القس العزيز ..

– ولكنه اعترف .

– ان اعترافه دليل على أنه أبعد ما يكون عن الجريمة ..

– الحق انني لا أفهمك . اذا كان الانسان لم يرتكب جريمة .. فلماذا يعترف بارتكابها ؟.

– هناك سبب .. يوجد سبب بغير شك

– لو انك رأيت وجهه أمس !!.

– حدثني عن ذلك اذن .

فوصفت لها كيف كان لقائي مع لورنس عند باب الحديقة في اليوم السابق. وأصغت الي مس ماربل باهتمام حتى فرغت من حديثي ثم قالت في تواضع:

– انني لست لامعة الذكاء وكثيراً ما يستعصي علي فهم الأمور . والواقع انني لا أستطيع ان أفهم أساليبك في التفكير . فهل تتصور ان الشاب الذي يقدم على جريمة رهيبة كجريمة القتل يمكن ان يبدو كالمجانين عقب ارتكاب فعلته ؟. ان القتل مع سبق الاصرار يقترن دائماً بالهدوء والثبات .. واذا حدث ان اضطرب القاتل لسبب ما ، فان اضطرابه لا يمكن ان يصل الى الصورة التي وصفتها .

– اننا نجهل كل ظروف المأساة ، ومن المحتمل أنهما تشاحنا فأطلق لورنس الرصاص في سورة غضبه ، ثم هاله ما فعل . هذا أقرب الفروض الى تصوري .

– يا عزيزي القس .. انا أعلم انه من الممكن النظر الى الأمور من زوايا مختلفة . لكن دعنا نستعرض الحقائق . الحقائق التي نعرفها لا تؤيد نظريتك . فقد قالت خادمتك ان لورنس ريدنج لم يمكث في مكتبك أكثر من دقيقتين..

ودقيقتان لا تكفيان للشجار . أضف الى ذلك ان الكولونيل قتـل برصاصة أصابت مؤخر رأسه وهو يكتب .. هذا على الأقل ما ذكرته لي خادمتي .

فقالت جريزلدا :

– لقد ذكرت لك الحقيقة ، كان الكولونيل يكتب رسالة قال فيها انه لا يستطيع الانتظار أكثر مما انتظر . وكان بأعلى الرسالة هـــذه الكلمات : الساعة السادسة و٢٠ دقيقة وكان عقربا الساعـة المهشمة يشيران الى الساعـة السادسة و٢٢ دقيقة ، وذلك مـا يحيرني انا وليونارد .. لأننا تعودنا ان نقدم الساعة ١٥ دقيقة .

فقالت مس ماربل :

– هذا عجيب حقاً .. ولكن المتهم ..

ولم تتم عبارتها ، ونظرت الى الباب المؤدي الى الحديقة ..

كانت ليتيسيا تقف بالباب ، وما لبثت ان دخلت وقالت محيية

– طاب يومكم .

ثم تهالكت على أقرب مقعد وقالت بانفعال لم نألفه منها :

– اذن فقد ألقوا القبض على لورانس ؟.

فأجابت جريزلدا

– نعم ، وقد كان النبأ صدمة لنا .

فقالت الفتاة ببساطة :

– لم أكن أتصور ان أبي سيقتل يوماً ما ، رغم اعتقادي بأن كثيرين كانوا يودون قتله .. أنا نفسي قد مرت بي لحظات .

فقاطعتها جريزلدا قائلة :

– هل أحضر لك عصيراً يا ليتيسيا ؟.

– كلا .. شكراً لك .. انما جئت للبحث عن قبعتي .. القبعـة الصغيرة الصفراء .. أعتقد انني نسيتها في غرفة المكتب قبل يومين .

فقالت جريزلدا :

– اذن فلا بد انها لا تزال هناك .. فان ماري لا تمس شيئاً في غرفة المكتب .

فقالت ليتيسيا وهي تنهض :

– اذن سأبحث عنها هناك ..

فقلت لها :

– أظن ان ذلك غير ممكن الآن ، فقد أغلق المفتش باب الغرفة واحتفظ بالمفتاح .

– هذا مزعج .. ألا يمكن الدخول من الباب المطل على الحديقة ؟.

– ذلك مستحيل . فهذا الباب مغلق من الداخل .. ثم ان القبعة الصفراء لم تعد تلائمك الآن .

– هل تعني انني يجب ان أرتدي ثياب الحداد ؟. كلا .. انني لا أفكر في ذلك ، ولا أقر هذه التقاليد العتيقة . أليس مما يؤسف له ان يتهم لورنس بقتل أبي !!.

ونهضت واقفة . وشرد بصرها في الفضاء لحظة ثم قالت :

– من يدري .. لعل كل ذلك قد حدث بسببي .. أو على الأصح بسبب ثوب الاستحمام .

فهمت جريزلدا بالكلام .. ثم أمسكت فجأة .

وقالت ليتيسيا وعلى شفتيها ابتسامة غريبة :

– يجب ان أعود الى المنزل لأنهي الى (آن) نبأ القاء القبض على لورنس .

وانصرفت من الباب المؤدي الى الحديقة كما دخلت ، وتحولت جريزلدا الى مس ماربل وسألتها :

– لماذا ضغطت على قدمي ؟.

ـ خشيت ان تتحدثي في موضوع الجريمة .. ان من الأفضل في مثل هذه الظروف ان يدع الانسان الأمور تسير بجراها الطبيعي . ثم ان هـذه الفتاة ليست من السذاجة كما تبدو ..

وفي هـذه اللحظة دخلت ماري لتقول لي ان الكولونيل ملشيت يريـد مقابلتي وانه ينتظرني في قاعة الاستقبال .

كان ملشيت هو مدير بوليس الناحية .

الفصل السابع

قصة مكذوبة

كان الكولونيل ملشيت رجلاً قصير القامة أزرق العينين أحمر شعر الرأس تنم ملامحه عن الذكاء واليقظة .

قال حالما رآني :

– طاب صباحك ايهـا الأب المحترم .. كانت نهاية مؤلمة لذلك المسكين بروتيرو .. أليس كذلك ؟. أرجو ألا يكون وقوع هذا الحادث في بيتك قد أزعج زوجتك .

فأجبته بأن جريزلدا استقبلت الحادث بشجاعة ورباطة جأش ، فقال :

– يسرني ان أعلم ذلك .. يا الهي !. من كان يظن ان ريدنج يقدم على ارتكاب مثل هذه الجريمة !. كان ذلك مفاجأة لي .. وكانت المفاجأة الثانيـة انه أسلم نفسه .

– هل تعرف كيف حدث ذلك ؟.

انه ذهب الى مركز البوليس في الساعة العاشرة من مساء أمس ، ووضع مسدسه على المكتب وقال ببساطة انا الذي ارتكبت الجريمة .

– وماذا قال عن الدافع الى الجريمة ؟.

لم يقـل شيئاً يستحق الذكر . كل ما قاله انه قابل بروتيرو وتشاجر

معه وأطلق عليـه الرصاص . ولم يذكر شيئاً عن أسباب الشجار . ولكن حدثني يا كليمنت .. هـل تعرف شيئاً عن الحادث ؟ لقد سمعت شائعات كثيرة . ويبدو ان الكولونيل حظر على لورانس دخول بيته . فماذا كان السبب ؟. هـل كان السبب انه أغرى الفتاة ؟. اننـا لا نريد اقحام ليتيسيا في الموضوع ..

– كلا .. ليس هذا هو السبب .. السبب يختلف عن ذلك تماماً .. وهـذا كل ما أستطيع ان اقوله لك في الوقت الحاضر .

فقال وهو ينهض :

– ان الناس يتكلمون كثيراً .. ولكنني أثق فيما قلته لي ولست أكتمك انني منزعج من أجل لورنس .. كان يخيل الي دائماً انه شاب مهذب .. وكل ما أرجوه ان يكون هناك مبرر لجريمته..سأذهب الآن للقاء الدكتور هايدوك .. فهل تأتي معي ؟.

وطاب لي ان أرافقه ، فخرجنا معاً .. وكان بيت هايدوك يقع على مقربة من بيتي .. فوجدنا الطبيب يتناول افطاره .

قال لي وهو يبتسم :

– انني عائـد للتو من حالة وضع .. هل تعلم انني قضيت شطراً طويلاً من الليل مع قضية بروتيرو ؟. لقد استخرجت الرصاصة .

ووضع على المائدة علبة صغيرة.فنظر ملشيت الى الرصاصة في العلبة وقال :

– انها رصاصة مسدس عيار ٢٥ .

فهز هايدوك رأسه وقال :

– يجب ان أحتفظ بالتفصيلات الفنية للمحققين .. وكل ما أستطيع ان أقوله الآن هو ان الوفاة حدثت على الفور .. ولكن أليس غريباً ان أحداً لم يسمع صوت الطلق الناري ؟.

فقال ملشيت :

– ذلك ما يدهشني ايضاً .

فقلت :

– لم يكن بالبيت وقتئذ سوى ماري ، وهي تقضي كل وقتها في المطبخ.. وليس للمطبخ سوى نافذة واحدة تطل على الجانب الآخر للبيت .

فقال ملشيت .

– وجارتكم العجوز .. مس ماربل .. ألم تسمع شيئاً ؟. ان باب المكتب المطل على الحديقة كان مفتوحاً على مصراعيه .

فأجبت .

– انها زارتني منذ قليل ، ولم تذكر لي انها سمعت شيئاً .

– لا بد أنها سمعت صوت الطلق الناري ولم تلق اليه بالاً ، ظناً منهـا ان مصدره احدى السيارات .

فقال هايدوك :

– اذن لا بد ان القاتل استخدم جهـازاً لكتم الصوت . ذلك هو التفسير الوحيد .

ولكن ملشيت هز رأسه سلباً وقال

– المفتش لاندرومي لا يعتقد ذلك . انه سأل لورنس عما اذا كان قـد استخدم جهازاً كاتماً للصوت فنفى ذلك بشدة .

فقال هايدوك :

– هل عرفتم الدافع الى الجريمة ؟

– قال انه اختلف مع بروتيرو وثارت ثائرته وتصرف بلا وعي .

– لعله أراد ان ينفي عن نفسه تهمة التعمد وسبق الاصرار .

فهز هايدوك رأسه وقال :

– هذا زعم باطل ، فقد تسلل القاتل وراء بروتيرو وأطلق الرصاص على مؤخرة رأسه وهو يكتب . ان اقوال لورنس تتعارض تماماً مع الحقائق .

فقلت مكرراً ما سمعته من مس ماربل

– يضاف الى ذلك أنه لم يكن هناك متسع من الوقت للشجار ،انه لم يمكث في البيت أكثر من دقيقتين .. وهي مدة لا تكفي للمشاجرة مع بروتيرو ثم التسلل وراءه واطلاق الرصاص عليه ، ثم العبث بعقربي الساعة .

فقال هايدوك :

– ان لورنس يكذب .. هذا أمر لا شك فيه .

فقال ملشيت :

– أعتقد ان أفضل ما نستطيع عمله هو ان نقابل لورنس شخصياً في مركز الشرطة .

الفصل الثامن

اعترافات آن بروتيرو

ذهبنا جميعاً الى مركز البوليس ، وقابلنا لورنس ريدنج في مكتب المفتش لاندرومي . وكان الشاب شاحب الوجه ولكنه هادىء تماماً ، هدوءاً يبدو غريباً في مثل ظروفه .

وبدأ ملشيت حديثه بقوله :

– اصغ الي يا لورنس . انك اعترفت للمفتش بأنك ذهبت الى بيت القس في حوالي الساعة السابعة إلا الربع ، وانك قابلت الكولونيل بروتيرو هناك ، فشجر بينكما خلاف انتهى بأن أطلقت عليه الرصاص ، ثم غادرت البيت .. انني لم أقرأ أوراق التحقيق ولكن ذلك ما فهمته من تلخيص المفتش لأقوالك، فهل ذلك صحيح ؟.

- نعم ..

– اذن فسألقي عليك بضعة أسئلة ولك مطلق الحرية في ان تجيب عليها أو لا تجيب .. كما ان من حقك ان تستعين بمحاميك .

فأجاب الشاب :

– لست بحاجة الى محام وليس عندي ما أخفيه ، انا الذي قتلت بروثيرو .

– ليكن ذلك .. ولكن كيف اتفق وجود مسدس معك ؟.

فأجاب لورنس بعد تردد قصير :
– كان المسدس في جيبي .
– هل أخذته معك عندما ذهبت الى بيت القس !.
– نعم .
– لماذا ؟.
فتردد الشاب مرة أخرى قبل ان يجيب :
– انني أحمله معي دائماً .
– ولماذا أخرت عقربي ساعة المكتب ؟.
– ساعة المكتب ؟.
– نعم فقد وجدنا عقربيها يشيران الى الساعة السادسة والدقيقة ٢٢ .
فظهرت دلائل الفزع على وجه لورنس ريدنج وقال متلعثماً .
– آه .. نعم .. انني عبثت بالعقربين .
وهنا تدخل هايدوك فجأة وسأل :
– الى أي جزء من جسم بروتيرو سددت رصاصتك ؟.
– اظن .. أظن انني سددتها الى الرأس .
– هل انت واثق من ذلك ؟.
– لا بد انك تعرف .. فلماذا تسألني ..
كان واضحاً انه يحاول التملص من الاجابة ..
وفي هذه اللحظة ، دخل أحد رجال الشرطة وبيده رسالة . قال :
– هذه رسالة السيد القس .
فتناولت الرسالة وفضضتها ، وقرأت فيها ما يلي :
« ارجوك الحضور لمقابلتي ، فانني لا أعرف ماذا يجب ان أفعل .. أريد ان أعترف ، فأتوسل اليك ان تحضر فوراً وان تصحب معك شخصاً آخر » .

الامضاء

آن بروتيرو

فنظرت إلى ملشيت نظرة فهم معناها ، ونهضنا معاً للانصراف ، وقبل أن أغادر المكان ، حانت مني التفاتة إلى لورنس ، فرأيته ينظر إلى الرسالة التي بيدي باهتمام وإصرار ، ولست أذكر اني رأيت على وجه انسان ما رأيته على وجه لورنس في تلك اللحظة من دلائل اليأس والألم .

وعلى الفور تذكرت كلمات آن بروتيرو حين قالت لي انها في أشد حالات اليأس . وأدركت لماذا اعترف لورنس بارتكاب تلك الجريمة البشعة ..

لقد كذب بشهامة .. لإنقاذ المرأة التي يحبها .

وقبل أن نغادر مركز البوليس ، التفت ملشيت إلى المفتش لاندرومي ، وقال له بصوت خافت :

– حاول أن تعرف كيف قضى لورنس وقته قبل الجريمة .. فإن لدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن الجريمة ارتكبت قبل الوقت الذي ذكره

ثم نظر اليّ ولم يتكلم ، فقدمت اليه رسالة آن بروتيرو فقرأها ، وبدت على وجهه دلائل الدهشة وقال :

– أهذا ما كنت تلمح اليه صباح اليوم ؟

– نعم .. ولكني لم أكن واثقاً مما يقضي به عليّ واجبي .. هل أتكلم أم الزم الصمت .. أما الآن .. فإنني أعرف ما يجب عليّ عمله .

ووصفت له المشهد الذي رأيته في الحظيرة .

ومن ثم تحدث ملشيت إلى المفتش مرة اخرى ، وانطلقنا بعد ذلك ومعنا الدكتور هايدوك – إلى بيت الكولونيل بروتيرو ..

واستقبلنا أحد الخدم ، فطلب اليه ملشيت أن ينبىء سيدته بأننا نريد مقابلتها ، وعاد الخادم بعد لحظات ليقول إن السيدة في انتظارنا

فقال له ملشيت :

– إننا بحاجة إلى معلومات عما حدث أمس في هذا البيت ، فأخبرني هل تناول سيدك طعام الغداء هنا ؟.

- نعم يا سيدي .
- هل كان في حالته الطبيعية ؟.
- لم الحظ عليه شيئاً غير عادي .
- وماذا حدث بعد ذلك ؟.

- بعـــد الغداء ، ذهبت سيدتي إلى غرفتها طلباً للراحة ، بينما ذهب الكولونيل إلى مكتبه ، أما الآنسة ليتيسيا ، فإنها استقلت السيارة الصغيرة وانطلقت إلى مباراة التنس ، وفي الساعة الرابعة والنصف ، تناول الكولونيل ومدام بروتيرو الشاي في قاعة الاستقبال ، وأمرا بالسيارة الكبيرة أن تعد في الساعة الخامسة والنصف لأن لديهما عملاً في القرية .. وما أن خرجا حتى دق جرس التليفون وكان المتكلم هو سيدي القس

وأومأ برأسه نحوي فقال ملشيت :
- متى جاء مستر ريدنج إلى هذا البيت لآخر مرة ؟.
- بعد ظهر يوم الثلاثاء يا سيدي .
- هل تشاجر مع الكولونيل ؟.

- أظن ذلك يا سيدي ، فقد أصدر الكولونيل الأمر بعـدم السماح لمستر ريدنج بدخول البيت بعد ذلك .

- هل سمعت شيئاً مما قيل خلال الشجار ؟.
- كان الكولونيل يتكلم بصوت مرتفع كعادته ، وكان صوتـه يزداد ارتفاعاً وهو غاضب ، فسمعت بعض الألفاظ .
- هل سمعت ما يكفي لمعرفة أسباب الخلاف ؟.
- أظن ان السبب كان الصورة التي رسمها مستر ريدنج للآنسة ليتيسيا .
- وهل رايت مستر ريدنج عندما غادر البيت ..
- نعم .. فقد رافقته إلى الباب .
- هل كان غاضباً ؟.

– كلا .. إطلاقاً .. كان يبدو عليه عدم الاكتراث .
– آه .. وهل عاد الى البيت بعد ذلك ؟
– هل جاء الى البيت اي انسان آخر ؟
– كلا .. لم يأت احد أمس .
– وأمس الأول ؟.
– أمس الأول ،جاء سيدي القس بعد الظهر ، كذلك جاء الدكتور ستون ومكث لحظة .. وفي المساء جاءت إحدى السيدات ..

فهتف ملشيت في دهشة :

– احدى السيدات ؟. من هي ؟.

فحاول الخادم أن يذكر اسم السيدة ولم يستطع .. قال انه لا يعرفها ولم يرها قبل ذلك ، وانها ذكرت له اسمها وعندما أفهمها ان الأسرة تتناول طعام العشاء أجابت بأنها ستنتظر ، فذهب بها إلى قاعة الاستقبال ، وهو يذكر أنها طلبت مقابلة الكولونيل شخصياً ولم تطلب مقابلة مدام بروتيرو .. وانه أنبأ الكولونيل بعد العشاء فذهب تواً إلى حيث كانت السيدة تنتظره .

– كم مكثت السيدة بالبيت ؟
– نحو نصف ساعة .. وقد رافقها الكولونيل بنفسه إلى الباب .. آه.. لقد تذكرت الآن اسمها .. إنها تدعى مدام .. مدام لترانج

فلم نستطع اخفاء دهشتنا وقال ملشيت :

– هذا عجيب حقاً !.

وانتهى الحديث مع الخادم عند هذا الحد ، فقد ارسلت مدام بروتيرو من ينبئنا بأنها على استعداد لإستقبالنا .

وكانت (آن) في فراشها وهي شاحبة الوجه لامعة العينين.. وعلى وجهها دلائل الألم والعزم . قالت تحدثني :

– شكراً على اسراعك بالقدوم .. ومن الواضح انك فهمت غرضي حين

طلبت اليك في رسالتي ان تحضر أحداً ..

وكفت عن الكلام لحظة ثم عادت فاستطردت قائلة ، وعلى شفتيها شبح ابتسامة حزينة .

– أظن من الأفضل الانتهاء من هذا الموضوع بأسرع ما يمكن .. اليس كذلك ؟ انني أتحدث اليك انت يا كولونيل ملشيت.. أنا التي قتلت زوجي.

فغمغم ملشيت في هدوء وبلهجة من لا يصدق ما سمع :

– مسكينة أنت يا مدام بروتيرو !.

– ولكن تلك هي الحقيقة .. لقد كنت أمقته .. اني امقته منذ وقت طويل .. وقد قتلته أمس .

وأدارت رأسها على الوسادة وقالت وهي تغمض عينيها :

– هذا كل ما أردت أن اقوله .. انك ستقبض عليّ .. اليس كذلك ؟ سأنهض لأرتدي ثيابي بأسرع ما استطيع .. ولكني الآن أشعر بوعكة ..

فقال ملشيت :

– الا تعلمين يا سيدتي ان لورنس ريدنج اعترف بارتكاب الجريمة ؟.

ففتحت عينيها وهزت رأسها بقوة وقالت :

– بل اعلم .. ولكنه شاب غبي .. انه يحبني .. وقد كان كرماً منه ان يعترف على نفسه ليحميني .. ولكن ذلك هو الجنون بعينه .

– هل كان يعلم انك ارتكبت الجريمة ؟.

– كيف علم ؟.

فترددت ولم تجب .. وسألها ملشيت :

– هل صارحته بذلك ؟

فبدا عليها التردد مرة اخرى ، ثم حزمت أمرها وأجابت :

– نعم .

وهزت كتفها بعد قليل وقالت :

– ألا تستطيعون الانصراف الآن أيها السادة ؟ لقد قلت لكم كل شيء.. وليس عندي ما أضيفه .

فسألها ملشيت بلطف وكأنه لم يسمع :

– ومن أين لك المسدس يا سيدتي ؟.

– المسدس ؟. انه مسدس زوجي .. أخذته من درج مكتبه .

– وحملته معك إلى بيت القس ؟.

– نعم .. كنت اعلم ان زوجي سيكون هناك .

– في أية ساعة حدثت الجريمة ؟.

– بعد الساعة السادسة .. بين السادسة والربع والسادسة و ٢٠ دقيقة .

– هل أخذت المسدس لكي تقتلي به زوجك ؟

– كلا .. إنما أخذته لأقتل به نفسي .

– ولكنك ذهبت به الى بيت القس ؟.

– نعم .. اقتربت من باب الشرفة المطلة على الحديقة .. ولم أسمع اي صوت فنظرت الى الداخل ورأيت زوجي .. ولا أعلم ماذا دهاني حـــين اطلقت الرصاص ..

– وبعد ذلك ؟

– وبعد ذلك انصرفت .

– لكي تروي لمستر ريدنج ما فعلت ؟.

فأجابت بعد تردد قصير :

– نعم .

– هل رآك أحد عندما دخلت بيت القس ؟

– كلا .. أو على الأصح .. نعم .. رأتني مس ماربـــل .. كانت في حديقتها فتبادلت معها بضع كلمات .

قالت ذلك وحركت رأسها على الوسادة بعصبية وهتفت :

الا يكفي هذا ؟ اني قلت كل شيء .. فلماذا تصر على ازعاجي ؟

فاقترب منها الدكتور هايدوك ، وجس نبضها وقال بصوت خافت وهو ينظر الى ملشيت .

– سأبقى معها ريثما تتخذ اجراءاتك .. اخشى اذا تركت وحدها أن تؤذي نفسها .

فأومأ ملشيت برأسه موافقاً .

وغادرنا الغرفة ، وشرعنا نهبط السلم ، وحينئذ لمحت خادماً نحيفاً يخرج من إحدى الغرف ، فعدت الى ارتقاء السلم بدافع غريزي ، وسألت الخادم :

– هل تعمل في خدمة الكولونيل منذ وقت طويل ؟

فبدت الدهشة على وجه الرجل وأجاب بالإيجاب . فسألته :

– هل تعلم ما إذا كان سيدك يمتلك مسدساً ؟

– لا أذكر أني رأيت عنده مسدساً يا سيدي .

– ولا في درج مكتبه .. حاول ان تتذكر .

فهز رأسه بحزم وأجاب :

– لو كان لديه مسدس لرأيته بغير شك .

فهبطت السلم وثباً ولحقت بالكولونيل ملشيت .

كنت واثقاً من أن مدام بروتيرو قد كذبت فيما يختص بالمسدس . ولكن لماذا ؟ .

الفصل التاسع

العانس ومدير الشرطة

بعد ان ترك ملشيت مذكرة في إدارة الشرطة ، ابدى لي رغبته في مقابلة مس ماربل وقال :

– تعال معي يا عزيزي القس .. فان وجودك قد يحول دون اصابة هذه العانس بانهيار عصبي .

فكدت أن اقهقه ضاحكاً .. ذلك لأني اعرف ان لمس ماربل القدرة على مواجهة كل بوليس العالم .

سألني ونحن في الطريق الى بيتها :

– أي نوع من النساء هي ؟ وهل يمكن الاطمئنان الى شهادتها ؟

– اعتقد أن بوسعك ان تثق في اقوالها .. إذا تكلمت عن مشاهداتها .. اما استنتاجاتها فمسألة اخرى .. انها واسعة الخيـــال وتنظر الى الأمور من نواحيها السيئة .

فقال ضاحكاً :

– مثلها في ذلك مثل سائر العوانس .

وفتحت لنا الباب خادمة في مقتبل العمر ، رافقتها الى قـــاعة استقبال صغيرة .. وقال ملشيت وهو يجيل الطرف حوله :

– قاعة صغيرة .. ولكنها حافلة بالتحف الجميلة .. ما رأيك يا كليمنت ؟

وقبل ان اجيب ، فتح الباب ودخلت مس ماربل ، فقال ملشيت بعد أن قدمته اليها :

– معذرة عن المضايقة يا سيدتي .. ولكن ما حيلتي .. انه الواجب ..

فقالت :

– لا عليك يا كولونيل .. انني أعرف الظروف .. تفضلا بالجلوس .. هل لكما في شيء من الشراب .

فأجاب ملشيت :

– كلا .. شكراً لك يا سيدتي .. انني لا أتناول شراباً قبل الغداء .. ولكن لنتحدث في الموضوع .. أعني موضوع ذلك الحادث المؤسف الذي أزعجنا جميعاً .. لقد خطر لنا ، نظراً لموقع بيتك وحديقتك ، انك ربما استطعت امدادنا ببعض المعلومات .

– الواقع انني كنت في حديقتي طوال مساء أمس ، ومن الحديقة يستطيع الانسان ان يرى كل ما يحدث عند الجيران .

– قيل لي ان مدام بروتيرو مرت من هنا مساء أمس .

– هذا صحيح ، وقد تحدثت اليها ، وتوقفت قليلاً لتعبر عن اعجابها بزهوري ..

– هل في استطاعتك ان تقولي لنا متى كان ذلك ؟.

– كان ذلك في الساعة السادسه و١٦ أو ١٧ دقيقة .. لأن ساعة الكنيسة دقت السادسة والربع قبل ذلك بلحظات . ثم قالت لي مدام بروتيرو انها ستلحق بزوجها في بيت القس لكي يعودا معاً الى بيتهما . وسلكت الممر الضيق المؤدي الى الحديقة الخلفية لبيت القس .

– تقولين انها سلكت الممر الضيق ؟.

– نعم .. تعال وانظر ..

ونهضت بنشاط وسارت بنا الى حديقتها وأشارت الى الممر وقالت :وهناك طريق آخر يوصل إلى القصر القديم ، (بيت الكولونيل بروتيرو) .. وكانت مدام بروتيرو قادمة من طريق القرية .

– هل أنت واثقة من أنها كانت تقصد الى بيت القس ؟.

– هذا أمر لا شك فيه . فقد رأيتهـا تنحرف عند ركن البيت .. ومن المحقق ان الكولونيل لم يكن في بيت القس في تلك اللحظة ..لأنني رأيته قادماً بعد قليل .. أما هي فانها اجتازت الحديقة وعرجت على الحظيرة .. الحظيرة الصغيرة التي تراها هناك والتي وضعها القس الطيب تحت تصرف مستر ريدنج .

– هل سمعت صوت طلق ناري يا مس ماريل ؟.

– في ذلك الوقت لم أسمع صوت طلق ناري ..

– هل سمعت صوت طلق ناري في وقت آخر ؟.

– نعم . اعتقد انني سمعت صوت طلق ناري صادراً من الغابة ..بعد نحو خمس أو عشر دقائق .. ولا يمكن أن ..

وصمتت فجأة ، وظهرت على وجهها دلائل التفكير ..

فقال ملشيت :

– اذن فقد قصدت مدام بروتيرو الى الحظيرة ؟..

– نعم . انها دخلت الحظيرة وانتظرت حتى لحق بها مستر ريدنج الذي جاء من ناحية القرية بعد قليل . وقد مر من باب الحديقة أمامي ونظر حوله

– ورآك ؟.

– كلا . لم يكن في استطاعتـــه ان يراني لأنني انحنيت في تلك اللحظة لأنزع عود نبات طفيلي . وقد قصد هو ايضاً الى الحظيرة .

– كلا قصد الى الحظيرة مباشرة وخرجت مدام بروتيرو لاستقباله عند الباب ثم دخلا الحظيرة معاً .

قالت ذلك وصمتت .. وكان لصمتها مغزاه

فقلت بشيء من الخجل :

– لعله كان يرسم صورة لها ..

– ربما .

– ومتى غادر الحظيرة ؟.

– بعد نحو عشر دقائق ..

– بالتحديد ؟

– لقد دقت الساعة وقتئذ النصف بعد السادسة . وعندما كانا يسيران في الممر الضيق ، لحهما الدكتور ستون وكان يمشي في الطريق الى القصر القديم ، فوثب فوق أكوام القش وانضم اليهما .. وأعتقد أنهم قابلوا مس كرام .. بعد قليل .. نعم . لا بد انها كانت مس كرام .. فهي وحدها ترتدي ثياباً قصيرة في هذه الناحية .

– لا بد أن لك قوة أبصار رائعة لكي تتبيني الأشياء من هنا يا مس ماربل؟.

فأجابت في هدوء :

– الواقع انني كنت أرقب أحد الطيور الصغيرة بمنظاري .

– ولكن ما دمت قوية البصر الى هذا الحد ، فهل لاحظت سلوك مدام بروتيرو وريدنج عندما مرا على مقربة منك ؟.

– كانا يتحدثان ويضحكان . ويبدو عليهما انهما سعيدان بوجودهما معاً .

– لم اتلاحظي عليها دلائل القلق وانشغال البال ؟.

– أبداً . بل العكس هو الصحيح .

– هذا عجيب !.

وهنا أدهشتنا مس ماربل إذقالت بهدوء غريب :

– هل اعترفت مدام بروتيرو بارتكاب الجريمة ؟.

فهتف ملشيت :

– كيف علمت ؟.

- ذلك مجرد استنتاج . ولا بد ان تكون تلك العزيزة ليتيسيا قد استنتجت ذلك أيضاً ، فهي فتاة ذكية . اذن فقد اعترفت آن بروتيرو بقتل زوجها ؟ أنا لا أصدق انها قالت الحقيقة : ان امرأة مثلها . ولكن من يدري .. ان الانسان لم يعد يثق بشيء على الاطلاق . ماذا زعمت عن وقت حدوث الجريمة ؟.

- قالت انها ارتكبتها في الساعة السادسة و٢٠ دقيقة .. عقب مقابلتك مباشرة .

فهزت مس ماربل رأسها ببطء وحزن كأنها تقول :

- مما يؤسف له ان يكون هذان الرجلان من الغباء ، بحيث يصدقان هذا الزعم !.

ثم سألت :

- بماذا ارتكبت الجريمة ؟.

- بمسدس ..

- أين وجدته ؟.

- أحضرته معها .

فصاحت مس ماربل بحزم :

- غير صحيح . أقسم أنها لم تكن تحمل سلاحاً .

- لعلك لم تريه ..

- بل كان يجب ان أراه .

- لعلها كانت تخفيه في حقيبتها ؟.

- لم تكن معها حقيبة .

- اذن لعلها أخفته في ثيابها .

- يا عزيزي الكولونيل ملشيت .. ألا تعرف كيف ترتدي الشابات ثيابهن في هذا الزمن ؟. انهن لا يخجلن من ابراز كل مفاتن أجسادهن .. واؤكد لك

ان مدام بروتيرو لم تكن تخفي سلاحاً في ثوبها .
فقال ملشيت باصرار :
– ولكنك لا تفكرين أن أقوالها تتفق مع الحقائق .. فقد توقفت الساعة المحطمة عند السادسة والدقيقة ٢٢ ، ثم ان ..

فقاطعته مس ماربل بأن قالت وهي تنظر الي :
– ألم تذكر له الحقيقة عن هذه الساعة ؟.
فهتف ملشيت :
– أية حقيقة !.
فذكرت له كيف أننا تعودنا أن نقدم عقربي الساعة ١٥ دقيقة . فصاح :
– ولكن يا عزيزي كليمنت. لماذا لم تقل ذلك للمفتش لاندرومي أمس؟.
– لأنه لم يدعني أنطق بكلمة .

هذا أمر مضحك .. كان يجب أن تصر .
– حاولت دون جدوى .
– كل هذا يبعث على الحيرة .. ولو قد جاء الآن شخص ثالث وزعم أنه القاتل لذهبت الى مستشفى المجانين .

فقالت مس ماربل :
– اذا سمحت لي بأن أبدي رأياً ..
– انني مصغ .

– إذا قلت لمستر ريدنجان مدام بروتيرو قد اعترفت ولكنك لا تصدقها . ثم ذهبت الى مدام بروتيرو وقلت لها انك تحققت من براءة مستر ريدنج وانه لا ضلع له في الجريمة .. فانها قد يصارحانك بالحقيقة .
فقال ملشيت :
– هذا رأي صائب .. رغم انني أعتقد انه لا يوجد سواهما من لديه دافع الى قتل بروتيرو .

- اسمح لي ان أخالفك في ذلك يا كولونيل ..

- لماذا ؟. هل ترتابين في شخص آخر ؟.

- يا إلهي !.

وبسطت أصابع يديها وراحت تحصي عليها ثم قالت :

- يوجد سبعة أشخاص على الأقل كان يسرهم التخلص من بروتيرو ..

- سبعة أشخاص في هذه القرية الصغيرة !.

فابتسمت مس ماربل وقالت :

- يجب ان تلاحظ أنني لم أذكر أسماء ، ان القانون لا يرحم في قضايا القذف .

الفصل العاشر

طلق ناري في الغابة

قال ملشيت حالما غادرنا بيت مس ماربل :

– هذه العانس تظن أنها تعرف كل شيء ، وأراهن على أنها لم تبارح هـذه القرية طول حياتها .. فماذا يمكن أن تعرف عن الحياة ؟

فقلت له : انهـا قد لا تعرف شيئاً عن الحياة بمعناها العريض ، ولكنهـا تعرف كل ما يحدث في القرية .

ولم يسع ملشيت الا الاعتراف بأن مس ماربل كانت خير شاهد لمصلحـة مدام بروتيرو ولكنه قال :

– هل أنت واثق من أننا نستطيع الاطمئنان الى توكيداتها ؟

– كل الوثوق . ومتى قالت مس ماربل أن مدام بروتيرو لم تكن تحمل مسدساً فصدقها ، ولو كان لديها أي شك في هذا الصدد لأثارته بكل قوة .

– هذا صحيح .. ولعل من الأفضل الآن أن نرى الحظيرة بأنفسنا ..

كانت الحظيرة عبـــارة عن غرفة صغيرة ، خالية من النوافذ ، يتدلى من سقفها مصباح .

وفحصها ملشيت بعناية ثم قال انه سيعود مرة أخرى ومعه لاندرومي .

وتركني ومضى . وما ان دخلت البيت حتى سمعت لغطاً ففتحت الباب ،

ورأيت مس كرام جالسة على الأريكة جنباً الى جنب مع جريزلدا
هتفت الفتاة حالما أبصرت بي :
– طاب يومك يا مستر كليمنت ..
واستطردت قائلة على الأثر :
– كل هذه التفصيلات عن مصرع الكولونيل تدعو الى الأسى حقاً .. مسكين هذا الرجل !
فقالت جريزلدا :
– لقد جاءت مس كرام حالما سمعت بالنبأ .
فقالت الفتاة :
– من الطبيعي أن يشعر الانسان بالفضول الى معرفة ظروف حادث مخيف كهذا .. ان وظيفتي مسلية الى حد ما والدكتور ستون رجل لطيف ولكني أشعر بالضجر أحياناً وفتاة مثلي من حقها ان تبحث عن شيء من التسلية والترفيه خارج دائرة عملها .والواقع .. انه باستثنائك أنت يا مستركليمنت.. فإنه لا توجد في هذه القرية المقفرة سوى حفنة من العجائز الثرثارات .
فقلت :
– بل توجد أيضاً ليتيسيا بروتيرو ..
فهزت الفتاة رأسها وقالت :
– ان ليتيسيا تشمخ بأنفها ولا تتنازل للنظر الى فتاة مثلي تكسب قوتها بعرق جبينها ، ومع ذلك فقد سمعتها تتحدث عن رغبتها في مزاولة عمل ما . ولكن ماذا في استطاعتها ان تفعل الا ان تعمل عارضة أزياء ؟.
فقالت جريزلدا :
– الواقع انها غاية في الرشاقة وتصلح عارضة أزياء ممتازة . ولكن متى تحدثت عن رغبتها في البحث عن عمل ؟.
– لست أذكر تماماً..أعتقد أنها لم تكن سعيدة في حياتها مع زوجة أبيها..

– هل يروقك العمل مع الدكتور ستون ؟. إذا كانت لك دراية بعلم الآثار فمن المحقق انك ستجدين العمل معه ممتعاً .

– إن درايتي بعلم الآثار محدودة ، والواقع انني أجد من المضحك ان يقضي الانسان حياته في نبش قبور أناس ماتوا منذ مئات السنين .. ولكن الدكتور يحب هذا العمل ويستغرق فيه الى حد نسيان الطعام والشراب .

– هل ذهب الى الحفريات اليوم ؟.

– كلا . انه متوعك ولا يشعر برغبـــة في العمل ، ولذلك أجدني حرة اليـــوم .

فقلت :

– يؤسفني أن أعلم أنه مريض .

– انها مجرد وعكة .. ولا أعتقد ان القرية ستفقـــد رجلين في يومين متواليين .. ولكن حدثني يا مستر كليمنت .. قيـل لي انك قضيت ساعات الصباح مع المحققين .. فما رأيهم في الحادث ؟.

– إنهم لم يصلوا بعد الى نتيجة .

– إذن فهم لا يعتقدون أن لورنس هو القـــاتل ؟. يا له من شاب وسيم !! ان من ينظر اليه يخاله من نجوم السينما ثم ان له ابتسامة رائعة .. الحقيقة انني لم أصدق إذني حين قيل لي انه اعتقل. وزاد اعتقادي حينئذ بأن رجال الشرطة ليسوا إلا حفنة من المغفلين ..

– ليس لأحد أن يلومهم هـــذه المرة .. لأن مستر ريدنج هو الذي أسلم نفسه اليهم ..

– مسكين !.

لو انني ارتكبت جريمة قتل لما أسلمت نفسي الى البوليس .. كنت أظن لورنس أعقل من ذلك !. هل تذكر لماذا قتل بروتيرو ؟.

فأجبتها :

– لم يثبت انه قتله .

– إذا كان قد اعترف فلا بد أنه يعرف السبب .
– إن الشرطة لم تقتنع باعترافه .
– إذن لماذا اعترف بجريمة لم يرتكبها ؟.
ولم أشأ أن أشبع فضولها في هذا الصدد ، وأجبتها :
– يحدث غالباً في مثل هذه الظروف ان تتلقى الشرطة رسائل من أناس يتهمون أنفسهم على هذا النحو .

– هذا جنون .. ثم تنهدت وقالت :
– أظن انني يجب أن أذهب الآن .
ثم استطردت قائلة :
– سيدهش الدكتور ستون متى علم أن لورنس اعترف بارتكاب الجريمة .. الى اللقاء .

* * *

قالت جريزلدا بعد انصراف الفتاة :
– لست أراها من السوء كما يصفونها .. انها فتاة بدينة مرحة لا يستطيع الانسان أن يكرهها .. والآن يا لونارد .. يجب ان تذكر لي كل ما تعلمه .

فرويت لها أحداث الصباح وقاطعتني مراراً للتعبير عن دهشتها أو استنكارها .. وأخيراً قالت ،

– إذا كان لورنس مولعاً بآن وليس بليتيسيا كما توهمنا ..ما أشدغبائنا!. لا بد ان ذلك ما ألمحت اليه مس ماربل ؟.
فأجبت وأنا أشيح بوجهي :
– نعم ..
وهنا دخلت ماري وقالت تحدثني :

- بالباب رجلان يقولان انهما صحفيان .. فهل تريد مقابلتهما ؟.
- كلا .. بتاتاً .. ابعثي بهما الى المفتش لاندرومي بمركز الشرطة ، ومتى فرغت منهما فعودي الي ، فاني أريد أن أستفسر عن أمر .

فهزت رأسها وخرجت ..

وعادت بعد قليل وهي تقول

- لقد تخلصت منهما بصعوبة .
- يجب أن تتوقعي مزيداً من هذه المضايقات يا ماري ، والآن حدثيني.. هل أنت واثقة تماماً من أنك لم تسمعي صوت طلق ناري؟.
- الطلق الذي قتـل الكولونيل ؟. انا واثقة من أنني لم أسمعه .. وإلا لأسرعت الى الغرفة لمعرفة ما حدث .

وهنا ذكرت ما قالته مس ماربل من أنهـا سمعت طلقاً نارياً صادراً من ناحية الغابة فسألت ماري :

- ألم تسمعي صوت طلق ناري صدر من جهة أخرى .. كالغابة مثلاً ؟..
- آه .. تذكرت الآن .. نعم .. سمعت صوت طلق واحد .
- كم كانت الساعة ؟.
- الساعة ؟.
- نعم .. الساعة.
- لا أستطيع تحديد الوقت بالضبط .. كان ذلك بعد موعد الشاي على كل حال .
- حاولي أن تتذكري .
- كلا .. لا أستطيع .. إن الأعمال المنزلية كثيرة وليس لديّ متسع من الوقت للنظر في الساعة كل لحظة .. ثم ان ساعة البهو معطلة .. وساعة المكتب ليست مضبوطة .
- حسناً ، شكراً لك ..

وانصرفت الخادمة ، فقلت أحدث جريزلدا :

ـ من الغريب حقاً ان يتفق الجميع على ان الطلق الناري صدر من الغابة .

فقالت جريزلدا :

ـ لا غرابة في ذلك .. فالناس يسمعون كل يوم طلقات بنادق صادرة من الغابة ، حتى أصبحوا يتصورون كلما سمعوا طلقة أن مصدرها الغابة .

وفي هذه اللحظة فتح الباب مرة أخرى ودخلت ماري .

قالت :

ـ الكولونيل ملشيت ومفتش البوليس يطلبان مقابلتك .. انهما ينتظرانك في قاعة المكتب .

الفصل الحادي عشر

العدو الخفي

لاحظت من أول نظرة ان الرجلين ليسا على وفاق ، فقد كان ملشيت محتقن الوجه بينما كان لاندرومي متجهماً .

قال الأول يحدثني :

- يؤسفني ان أقول لك ان لاندرومي لا يتفق معي في الرأي بشأن مركز لورنس ريدنج في القضية .

فقال المفتش :

- اذا لم يكن هو القاتل ، فلماذا سلم نفسه واعترف ؟.

- تذكر ان مدام بروتيرو قد فعلت بالمثل يا لاندرومي ..

- ولكن الأمر يختلف .. انها امرأة ، والنساء يتصرفن دائماً بغباء .. ثم انني لم أصدق كلمة واحدة مما قالته..انها علمت ان لورنس متهم فاخترعت هذه الحكاية .. وهذه لعبة ألفناها .. انك لا تستطيع ان تتصور مدى خداع النساء . ولكن الأمر يختلف مع لورنس .. انه شاب حصيف متزن ، وإذا قال انه القاتل فيجب ان نصدقه .. ان موضوع المسدس هو الذي يحيرك .. أما الدافع الى الجريمة فقد عرفناه بفضل مدام بروتيرو .. لقد كان الدافع هو نقطة الضعف الوحيدة في موقفنا حيال لورنس .. ولكنه لم يعد كذلك الآن .

– أتعني اذن انه ارتكب الجريمة قبل الساعة السادسة والنصف ؟
– كلا .. ذلك مستحيل .
– هل تحققت كيف قضى وقته قبل الجريمة ؟.

– انه كان في القرية على مقربة من الفندق في الساعة السادسة والنصف ، ومن هناك ذهب الى الحظيرة ثم غادرها مع مدام بروتيرو بعد الساعة السادسة والنصف بقليل . وسارا في الطريق الى القرية ، فقابلهما الدكتور ستون ، وقد أكد لي الدكتور ذلك بنفسه لأنني سألته .. وبعد ان تحدث الثلاثة لحظة أمام مبنى مكتب البريد ، ذهبت مدام بروتيرو الى مس هارتنل لكي تستعير منها مجلة فلاحة البساتين .. وقد تحققت من ذلك بنفسي حين قابلت مس هارتنل التي قالت لي ان مدام بروتيرو مكثت عندها حتى الساعة السابعة ،ولم تنصرف الى بيتها إلا عندما سمعت دقات الساعة ، وقالت وهي تنهض (لم أكن أظن ان الوقت متأخر الى هذا الحد) .

– وكيف كانت حالها في ذلك الوقت ؟.
– قالت لي مس هارتنل انها كانت طبيعية جداً . بل وسعيدة . ولا ولا يبدو عليها أي أثر للهم أو القلق .
– حسناً .. امض في حديثك .

– أعود الآن الى لورنس ريدنج . انه رافق الدكتور ستون الى الفندق وتناول معه شراباً ، ثم غادر الفندق في الساعة السادسة و٤٠ دقيقة وسار في الطريق الى بيت القس ، ولاحظ كثيرون انه كان يوسع الخطى .

– ألم يسلك طريق الممر الصغير هذه المرة ؟.
– كلا .. وانما دخل من الباب الرئيسي ، وطلب مقابلة القس فقيل له أن بروتيرو ينتظره بالمكتب فأجاب بأنه سيذهب اليه .. وهناك قتله بالطريقة التي رواها .
هذه هي ظروف الجريمة بالكامل .

فهز ملشيت رأسه وقال :

ـ ولكنك لا تستطيع تجاهل شهادة الدكتور هايدوك الذي أكد ان الجريمة لا يمكن ان تكون ارتكبت بعد الساعة السادسة والنصف .

فقلب المفتش شفته وقال باحتقار :

ـ ومن ذا الذي يأبه بكلام الأطباء ؟.انهم يقولون لك انك مصاب بالتهاب الزائدة الدودية ويشقون بطنك ثم يعتذرون لك بأنهم أخطأوا

ـ كلا يا لاندرومي .. ان المسألة هنا ليست مسألة خطـأ في التشخيص . لقد كان هايدوك واثقاً من كلامه ، ولا يمكنك بحـال ان تستريب في مضمون تقرير طبي .

وهنا تذكرت أمراً فقلت :

ـ ثمة حقيقة قد تكون لها أهميتها . عندما لمست الجثة كانت باردة تماماً .. وأستطيع ان أقسم على ذلك

فهتف ملشيت بلهجة الانتصار :

ـ أرايت ؟. ان هذا يحسم الأمر ، وليس أمامنا الآن الا ان نبدأ من البدايه

والتفت المفتش الي وقال :

ـ لماذا لم تصارحني بموضوع الساعة في الوقت المناسب ؟ انك ضللت العدالة وتركتني أسير في طريق خاطىء .

فتملكتني الدهشة وقلت :

ـ انني حاولت ثلاث مرات ولكنك لم تسمح لي بالكلام .

ـ لو كنت صادق النية لأصررت على الكلام .. كان الوقت المسجل على الرسالة يتفق مع الوقت الذي يشير اليـه عقربا الساعة .. ولكنك صارحت الكولونيل ملشيت بانك تعودت تقديم العقربين ١٥ دقيقة .. لـماذا كنت تفعل ذلك ؟.

فقال ملشيت :

– على كل حال لا جدوى من مناقشة هذا الموضوع الآن .. ان ما يهمنا الآن هو التحقق من صدق أقوال لورنس ريدنج ومدام بروتيرو .. ولقد اتصلت بالدكتور هايدوك وطلبت اليه الحضور مع مدام بروتيرو. وسيكونان هنا خلال ربع ساعة . سأتصل الآن بمركز الشرطة لاحضار لورنس فوراً .

وتناول السماعة ، وأصدر تعليماته لمركز البوليس،ثم قال وهو يضع السماعة :

– أظن انه يحسن بنا ان نباشر عملنا فوراً في هذه الغرفة .

ونظر الي فقلت :

– هل ترى من الأفضل ان أغادر المكان ؟.

وما كدت أصل الى الباب حتى صاح بي ملشيت :

– ارجوك ان تعود عندما يحضر لورنس. انك من أصدقائه وربما استطعت التأثير عليه لكي يصارحنا بالحقيقة .

ووجدت زوجتي تتحدث الى مس ماربل ، وقد كان حديثهما يدور حول الجريمة ، فقلت لمس ماربل :

– كم أود أن تذكري لي أسماء الأشخاص السبعة الذين ترتابين فيهم .

– انا ارتاب في سبعة أشخاص ؟.

– نعم ، انت قلت أن في استطاعتك ان تحصي سبعة أشخاص يسرهم ان يموت الكولونيل .

– انا قلت ذلك ؟. آه . نعم .

– أصحيح ذلك اذن ؟.

– طبعاً صحيح . ولكن لا يجب ان أذكر الأسماء .. في مقدورك انت ان تعرفهم بسهولة .

– هذا مستحيل . انني لا أعرف سوى ليتيسيا ، فهي الوحيدة التي تفيد من موته بصفتها وريثته ، ولكن من غير المعقول ان تقدم ليتيسيا على ارتكاب

مثل هذه الجريمة البشعة .

فتحولت مس ماربل الى جريزلدا وسألتها

– وأنت أيتها العزيزة ؟.

– أنا لا أظن ان لورنس ارتكب الجريمة .. وكذلك آن .. أما ليتيسيا فانها فوق الشبهات بصفة قاطعة . ولكن لا بد ان يكون هناك دليل ما يرشد الى الفاعل .

فقالت مت ماربل

– توجد تلك الرسالة ولكنها لا تفيدنا بشيء .

فقلت

– على العكس .. انها حددت لنا الوقت الذي حدثت فيه الوفاة .

فهزت مس ماربل رأسها وقالت :

– ان ما حيرني منذ البداية هو مضمون هذه الرسالة .

– ان مضمونها واضح..فقد ذكر فيها الكولونيل أنه لا يستطيع الانتظار أكثر مما انتظر .

– بل قد تضمنت الرسالة شيئاً آخر .. تضمنت الكلمات الساعة السادسة والدقيقة العشرون !! لقد ذكرت له خادمتك بأنك لن تعود قبل الساعة السادسة والنصف ، فقرر ان ينتظرك .. ولكنه في الساعة السادسة وعشرين دقيقة جلس أمام مكتبك ليكتب لك أنه لا يستطيع الانتظار أكثر مما انتظر.

فنظرت اليها باعجاب وقد أذهلني ذكاؤها .. انها اكتشفت أمراً غاب عنا جميعاً .. فقد وصل الكولونيل الى البيت في الساعة السادسة والربع أو نحو ذلك وتحدث الى الخادم ثم قصد الى غرفة المكتب وفي نيته ان ينتظر عودتي .. أي أن ينتظر حتى الساعة السادسة والنصف على الأقل ..

قلت لها :

– ان مضمون الرسالة يكون مفهوماً ومعقولاً لو لم يذكر بها الوقت .

تماماً ..

واستعرضت الرسالة في ذاكرتي . كانت عباراتهـــا مكتوبة بخط غير واضح. أما عبارة الساعة السادسة والعشرون فكانت واضحة تماماً.. ومكتوبة بخط يختلف عن الخط الذي كتبت به الرسالة .

قلت :

– لنفترض اذن أن الوقت لم يذكر في الرسالة .. وأن الكولونيل مكث بالمكتب حتى الساعة السادسة والنصف ، ثم فرغ صبره فجلس الى المكتب ، ليكتب أنه لا يستطيع الانتظار أكثر مما انتظر .. وفيما كان يفعل ذلك .. دخل أحدهم من باب الشرفة ..

– أو من باب الغرفة ..

– لو ان باب الغرفة فتح لسمعه وحول رأسه ليرى من القادم .

فقالت مس ماربل :

– أرجو ان تتذكرا ان بروتيرو كان شبه أصم .

– هذا صحيح .. لو ان الباب فتح لما سمعه .. ولكن مهما تكن طريقة دخول القاتـل فلا بد أنه تسلل خلف الكولونيل وقتله ، ثم كتب في الرسالة عبارة (الساعة السادسة والدقيقة العشرون) ، وحرك عقربي الساعـة بحيث يشيران الى الساعة السادسة و٢٢ دقيقة ... وهي فكرة شيطانية عمد اليهـــا للتضليل لأنه يستطيع ان يثبت انه في تلك الساعة والدقيقة كان في مكان آخر ..

فسألت جريزلدا :

– إذن كيف يمكن تحديد وقت حدوث الجريمة ؟..

– لقد قال الدكتور هايدوك انها ارتكبت في وقت لا يتجاوز الساعـة السادسة والنصف .. ولكن دعينا نحدد الساعة و٣٥ دقيقة كوقت أقصى .

على فرض ان بروتيرو انتظر خمس دقائق بعد الموعد الذي لعودتي قبـل ان يفرغ صبره .

فقالت مس ماربل :

– ولكن ذلك الطلق الناري الذي سمعته أنا حوالي الساعة السادسة و٣٠ دقيقة ؟.. انني اذكر الآن انه كان يختلف عن الطلقات التي تعودت سماعها من الغابة .

– هل كان أقوى منها ؟.

– كلا .. ولكنه كان يختلف على نحو ما .. لا أستطيع تحديده ..

ان عجزها عن تحديد مصدر الطلق الناري ونوعه لم ينقص من احترامي لها. وما لبثت ان نهضت قائلة انها يجب ان تعود الى بيتها ، وانها انما جاءت لأنها لم تستطع مقاومة اغراء الثرثرة مع جريزلدا. فرافقتها الى الباب الخلفي. ولما عدت وجدت جريزلدا مستغرقة في التفكير ، فسألتها :

– ألا يزال موضوع تلك الرسالة يحيرك ؟

– كلا ..

وهزت كتفيها واستطردت بعد لحظة تقول :

– انني أعتقد ان هناك شخصاً يحقد على آن حقداً شديداً .

– يحقد عليها ؟ .

– نعم . ألم تدرك ذلك ؟ ان لورنس لا يوجد ضده أي دليل سوى اعترافه بأنه جاء الى هنا .. ولولا ذلك ما فكر أحد في اتهامه . أما آن فإن أمرها يختلف .. هب أن شخصاً علم انها كانت هنا في الساعة السادسة و٢٠ دقيقة ، وهو الوقت الذي ذكر في الرسالة وحدده عقربا الساعة المحطمة ! . الرأي عندي ان من كتب الوقت في الرسالة وعبث بعقربي الساعة .. انما فعل ذلك لغرض واحد هو توريط آن واتهامها بارتكاب الجريمة .. ولولا شهادة مس ماربل بأنها لم تكن تحمل مسدساً وانها قصدت تواً الى الحظيرة ، لدمرها الاتهام ..

إن لها عدواً يمقتها اشد المقت يا ليونارد .

الفصل الثاني عشر

القضية تتعقد

عندمـــا وصل لورنس إلى الحظيرة ، أرسل ملشيت في طلبي ، فوجدت لورنس كالح الوجه بادي القلق.. وكان ملشيت يعامله برفق ومودة..قال له:

– إننا استقدمناك إلى هنا لكي نلقي عليك بعض الأسئلة .

فمرّت على شفتي لورنس ابتسامة باهتة وقال ساخراً :

– بل قل انكم استقدمتوني لإعادة تمثيل الجريمة .. انه الأسلوب الفرنسي في تحقيق الجرائم .

- إصغ اليّ يا بني.. ليس من الضروري أن تحدثنا بهذه اللهجة .. لأن كل شيء سيكون على ما يرام .. هل تعلم أن شخصاً آخر اعترف بالجريمة التي تزعم إنك ارتكبتها ؟

وكان لهذه الكلمات وقعها الواضح عليه ، فقال بلسان متلعثم :

– هل قلت شخصاً آخر ؟. من ؟. من هو ؟

فقال ملشيت وهو يتفرس في وجهه :

مدام بروثيرو ..

- مستحيل ! إنها لم ترتكب هذه الجريمة .. لم يكن في استطاعتها أن ترتكبها

– على كل حال نحن لم نصدق قصتها .. كما لم نصدق قصتك ، والواقع أن الدكتور هايدوك قد أكد أن الجريمة لم ترتكب في الوقت الذي ذكرته

– هل أكد الدكتور هايدوك ذلك ؟

– نعم ، وسواء رضيت أو لم ترض فإنك بريء ولا شأن لك بالجريمة .. وكل ما نريده منك الآن هو أن تساعدنا بذكر الحقائق كلها.

فتردد لورنس لحظة ثم قال :

– هل تقسم لي انك لم تخدعني .. وانك لا تشك حقاً في مدام بروتيرو ؟

– اقسم لك .

فتنهد لورنس وقال :

– الواقع إنني تصرفت بجنون .. وما كان ينبغي أن أرتاب لحظة واحدة في أنها التي ارتكبت الجريمة .

فقال ملشيت :

– ألا تستطيع أن تكون اكثر وضوحاً ؟

– إن الأمر بسيط ، فقد قابلت مدام بروتيرو بعد ظهر !

وصمت فقال ملشيت :

– نحن نعرف كل ذلك ، هل ظننت ان العلاقات العاطفية بينك وبينها ستظل سراً ؟ . إن الجميع يتحدثون عنها .

– إذن سأذكر لك الحقائق كلها يا كولونيل .. اني وعدت القس بالرحيل عن هذه القرية نهائياً ، وقابلت مدام بروتيرو في الساعة السادسة والربع من ذلك المساء وأنبأتها بما قررته ، فوافقت ، وقالت ان ذلك هو الحل الوحيد الملائم .. ثم ودع كل منا الآخر .

وغادرنا الحظيرة ، وانضم الينا الدكتور ستون وبذلت (آن) قصارى جهدها لكي تبدو هادئة ، أما أنا فلم أستطع ورافقت الدكتور ستون إلى الفندق حيث تناولنا شراباً. ثم قررت العودة إلى بيتي ، ولكني ما كدت أصل

إلى ركن الشارع حتى عدلت عن فكرتي وخطر لي أن أذهب لمقابلة القس .. فقد كنت بحاجة إلى إنسان أتحدث اليه عما قررته .

ولما وصلت الى بيت مستر كليمنت ، قالت لي الخادمة انه خرج وسيعود بعد قليل وان الكولونيل بروتيرو ينتظره في المكتب ، فلم أشأ الرحيل على الفور حتى لا يظن انني اتجنب لقاء الكولونيل ، ولذلك قلت للخادمة انني سأنتظره ، وقصدت إلى قاعة المكتب .. ودخلت ..

وصمت فقال ملشيت :

– وماذا حدث بعد ذلك ؟

– كان بروتيرو جالساً أمام المكتب في الوضع الذي رأيتموه ، فاقتربت منه ، ولمسته ، ووجدته ميتاً .. ووقع بصري على مسدس ملقى على الأرض على مقربة منه .. فتناولته .. واكتشفت أنه مسدسي .

وكان هذا الاكتشاف صدمة لي ، وخطر لي على الفور أن (آن) ربما أخذته بطريقة ما ، لتنتحر به إذا تعقدت الأمور ووجدت أن حياتها أصبحت لا تطاق . وانها قد احتفظت به معها في ذلك اليوم .. وجاءت به إلى هنا بعد لقائنا الأخير ، وافترقنا .. وقد كان من الجنون حقاً أن أتصور شيئاً مخيفاً كهذا .. ولكن ذلك ما خطر لي في تلك اللحظة ..

وهكذا وضعت المسدس في جيبي وانطلقت الى خارج الدار ، وقابلت القس بالباب، وكان من الطبيعي ان يحدثني عن بروتيرو فشعرت برغبة لا تقاوم في أن أنفجر ضاحكاً فقد كان القس هادئاً وطبيعياً بينما كنت نهبة اضطراب وفزع لا حد لها .. ولست أذكر تماماً ما قلت له ، ولكني أذكر أن سحنته تغيرت ..

وانطلقت اسير على غير هدى .. وأنا في حالة نفسية لا تطاق .. كنت أرى أنه إذا كانت (آن) قد ارتكبت هذه الجريمة فأنا المسؤول .. أدبياً على الأقل .. وكان أن ذهبت إلى مركز البوليس واسلمت نفسي

وانتهى لورنس من اعترافه، وساد صمت عميق، قطعه ملشيت أخيراً بقوله:

– أود أن القي عليك سؤالاً أو سؤالين .. والسؤال الأول: هل حركت الجثة وغيرت وضعها ؟.

– كلا .. كان واضحاً ان الرجل مات .

– هل رأيت على المكتب ورقة تكاد أن تكون مختفية تحت

– كلا ..

– الم تعبث بالساعة ؟.

– كلا .. أذكر أنني لاحظت وجودها على المكتب ولكني لم أمسها .

– ومسدسك .. متى رأيته آخر مرة ؟.

ففكر لورنس قليلاً وأجاب :

– لا أستطيع أن أذكر بالتحديد .

– أين كنت تضعه ؟.

– بين عدد من التحف على رف خزانة الكتب بقاعة الاستقبال

– كنت تتركه مهملاً هكذا ؟.

– الواقع .. انني لم افكر فيه ولم أعره اهتماماً .

– هل كان في وسع أي زائر أن يراه ؟

– نعم .

– ألا تذكر متى رأيته آخر مرة ؟.

فقطب لورنس حاجبيه، وكان من الواضح انه يحاول أن يتذكر، وأخيراً قال:

– أكاد أكون واثقاً انه كان في مكانه امس الأول ، او اليوم الذي سبقه، فقد زحزحته من مكانه حينما كنت أبحث عن غليون قديم .

– من دخل قاعة الاستقبال خلال الأيام الأخيرة ؟.

– كثيرون .. إن بيتي لا يكاد يخلو من الزائرين .. وقد أقمت حفل شاي امس الأول حضرته ليتيسيا ، كما حضره دنيس وأصدقاؤه .

– من الذي يدير شؤون بيتك ؟
– سيدة عجوز هي الأم آرثر .
– هل تظن أنها تستطيع أن تذكر شيئاً عن المسدس ؟
– لا اعلم .. ربما .. ولكنني اعتقد انها تهتم كثيراً بازالة الغبار والأتربة.
– هل معنى ذلك انه كان بوسع اي انسان ان يأخذ المسدس ؟.
– ذلك رأيي !.

– وفي هذه اللحظة .. دخل الدكتور هايدوك ومدام بروتيرو .
وقد دهشت آن حينما رأت لورنس ، أما هو فتقدم خطوة وهو يقول :
– معذرة يا آن ، فما كان ينبغي ان اتصور شيئاً مخيفاً كهذا ..
– انا ..
وترددت قليلاً ثم نظرت إلى ملشيت في توسل وقالت
– هل صحيح ما ذكره لي الدكتور هايدوك ؟.
– عن براءة مستر ريدنج ؟. نعم .. انه صحيح .. والآن لنتحدث عن القصة التي رويتها لنا .. تكلمي يا مدام بروتيرو .
فبدت عليها دلائل الحيرة والارتباك .
وقال ملشيت مشجعاً :
– إن ما يهمنا هو معرفة الحقيقة يا مدام بروتيرو .. كل الحقيقة .
– سأقولها لك .. أظن انكم تعلمون الآن ان ..
– نعم ..
– حسناً.. انني كنت على موعد مع لورنس في الحظيرة في الساعة السادسة والربع .. وكنت قد ذهبت مع زوجي بالسيارة إلى القرية لأتسوق وهناك تركني قائلاً انه على موعد مع القس.. ولم يكن بوسعي الاتصال بلورنس لأنذره .. وقد أزعجني ان اقابل لورنس في الحظيرة بينما زوجي داخل البيت .
واحمر وجهها واستطردت قائلة:

- فكرت في ان زوجي ربما لا يمكث طويلاً ببيت القس ، فأردت ان اتحقق ، فسرت في الممر الخلفي الضيق ، ووصلت إلى الحديقة .. وكنت اظن ان احداً لم يرني ، ولكني فوجئت بمس ماربل تستوقفني ، فقلت لها انني جئت للبحث عن زوجي ، وكان لا بد ان اقول لها اي شيء لكي ابرر وجودي هناك .. ولكن يبدو انها لم تقتنع تماماً فقد رأيت على وجهها دلائل الريبة .

ومن ثم صرت في الاتجاه إلى غرفة المكتب ، وكنت امشي بخفة على امل ان اسمع اصوات حديث في الداخل ، ودهشت حين لم اسمع شيئاً

ونظرت إلى داخل الغرفة ، ووجدتها خالية وليس بها احد ، فأسرعت إلى الحظيرة لأقابل لورنس .

– أتقولين ان الغرفة كانت خالية ؟

– نعم .. لم يكن زوجي بها .

– هـذا عجيب !

وهنا تدخل لاندرومى قائلاً :

– لعلك تريدين ان تقولي إنك لم تريه ؟

– نعم .. لم أره .

فهمس لاندرومي كلاماً في اذن ملشيت ، وهز هذا رأسه موافقاً وقال :

– هل لك يا مدام بروتيرو أن تصوري لنا ما فعلته على وجه الدقة ؟

– بكل ارتياح .

ونهضت واقفة ، وفتح لاندرومي باب الشرفة فخرجت منه وانحرفت نحو اليسار ، بينما طلب إليّ ملشيت ان اجلس أمام المكتب ، ففعلت على كره مني .

وبعد قليل ، سمعت وقع خطوات تقترب في الشرفة ، ثم تتوقف ، ثم تبتعد . وحينئذ طلب اليّ ملشيت ان أعود إلى مكاني فأطعت ، وبعد قليل دخلت مدام بروتيرو من باب الشرفة ، فسألها ملشيت :

– هل هذا ما فعلته في ذلك المساء ؟

فقال لها المفتش :

- هل في استطاعتك الآن ان ترشدينا إلى المكان الذي كان يجلس فيه القس عندما نظرت إلى الداخل في التو واللحظة ؟

- القس ؟ لا أستطيع ان اجيبك .. لأني لم اره .

فهز لاندرومي رأسه وقال

- هذا هو السبب في انك لم تري زوجك في ذلك المساء .. فقد كان في الركن جالساً أمام المكتب .

- يا إلهي !

وارتسمت في عينيها نظرة ذعر ..

واستأنف المفتش الاستجواب فسألها

- هل كنت تعلمين ان مستر ريدنج يمتلك مسدساً ؟

- نعم .. فقد قال لي ذلك في أحد الأيام .

- هل وقع هذا المسدس في يدك في أي وقت ؟

فهزت رأسها سلباً .

- لست على يقين .. ولكنني اظن انني رأيته فوق احد الرفوف .

- متى ذهبت آخر مرة إلى بيت مستر ريدنج ؟

- منذ نحو ثلاثة أسابيع .. ذهبت اليه مع زوجي لتناول الشاي .

- الم تذهبي اليه بعد ذلك ؟

- كلا .. اني لم اتعود زيارته في بيته حتى لا يتقول الناس علينا.

فقال ملشيت :

- اسمحى لي أن القي عليك سؤالاً آخر .. أين تعودت مقابلة مستر ريدنج

فاحمر وجهها مرة أخرى وأجابت :

- كان يأتي إلى البيت ليرسم صورة ليتيسيا .. وكنا احياناً نتقابل في الغابة .

فهز ملشيت رأسه وصاحت آن بصوت متهدج :

– ألا يكفي هذا ؟. لقد شق عليّ أن أقول كل هذا ولكني أقسم انه لم يكن بيني وبينه ما أخجل من ذكره .. كنا صديقين .. وتحولت الصداقة الى حب على الرغم منها .

قالت ذلك ونظرت الى الدكتور هايدوك مستنجدة، وكان الطبيب رجلا رقيق القلب مرهف الحس فقال :

– أظن ان مدام بروتيرو قد قالت ما فيه الكفاية ..

فأومأ ملشيت برأسه موافقاً وقال :

– ليست عندي أسئلة أخرى يا سيدتي. وأنا أشكر لك إجاباتك الصريحة على أسئلتي .

– هل أستطيع الانصراف ؟.

وهنا تحول هايدوك اليّ وقال :

– هل زوجتك بالبيت يا كليمنت ؟. لا شك أن مدام بروتير سيسرها ان تراها .

فأجبته :

– نعم ، ان جريزلدا هنا ، وستجدها بقاعة الاستقبال .

وغادرت (آن) الغرفة مع لورنس والدكتور هايدوك . بينما كان لاندرومي يدقق النظر في الرسالة التي كتبها بروتيرو قبيل مصرعه ، فانتهزت الفرصة لاطلاعه على وجهة نظر مس ماربل ، وأصغى الي المفتش باهتمام كبير ثم قال :

– يخيل الي ان هذه العجوز على حق .. انظر ترَ ان الخط الذي كتبت به الرسالة يختلف في الواقع عن الخط الذي كتبت به الساعة .. فالقلم يختلف . والحبر يختلف ..

فقال ملشيت :

– هذا صحيح ، وبهذه المناسبة ، هل فحصت هذه الرسالة لكشف مـا عليها من البصمات ؟.

– لا توجد أية بصمة على هـذه الرسالة ، أما المسدس فليست عليه سوى بصمة واحدة ، هي بصمة لورنس ريدنج .. وربما كانت هناك بصمات أخرى على المسدس قبل ان يضعه في جيبه .. ولكن لا يمكن تبينها الآن .

فقال ملشيت :

– كان مركز مدام بروتيرو في البداية سيئاً وكانت الأدلة ضدها أقوى منها ضد لورانس ولم ينقذها سوى شهادة مس ماربل بأنها لم تكن تحمل مسدساً. .بيد أن أعجب ما في الامر ان أحداً لم يسمع صوت الطلق الناري.. مستحيل ألا يكون أحد قـد سمعه .. انني أقترح عليك ان تعيد استجواب الخادمة يا لاندرومي .

فقلت محدثاً المفتش :

– الرأي عندي ألا تسألها عما اذا كانت قد سمعت طلقاً نارياً داخل البيت ، لأنها ستنكر على الفور . والأفضل ان تسألها هل سمعت طلقاً صادراً من ناحية الغابة .

فأجاب لاندرومي بخشونة : إنني أعرف كيف أسأل الشهود وغادر الغرفة .

قال ملشيت :

– لقد زعمت مس ماربل انهـا سمعت صوت الطلق الناري ، ولكن في وقت لاحق للجريمة . ونحن يهمنا جداً تحديد الوقت بدقة . فقد يكون ما سمعته مس ماربل طلق بندقية صدر من مكان آخر .

– ربمـا ..

نهض ملشيت واقفاً وقال وهو يذرع أرض الغرفة :

– يخيل اليّ أن القضية أصعب وأعقد مما تصورناها في البداية .. فهنـاك

الساعة .. والرسالة .. والمسدس .. كلها ألغاز تحتاج الى تفسير .

ثم قال :

– ولكننا سنمضي في القضية الى النهاية ، ولن نستعين برجال سكتلنديرد. ان لاندرومي رجل مقتدر وقد نجح في كثير من القضايا .. ولكن نجاحه في هذه القضية سيكون أعظم انتصار أحرزه في حياته العملية .

– انني أرجو له النجاح .

– ومن يقطن البيت المجاور ؟.

– البيت الذي في نهاية الشارع ؟. تقطنه مسز برايس ريدلي .

– عندما يفرغ لاندرومي من استجواب خادمتك ، سنذهب لاستجواب هذه السيدة ، لعلها أن تكون قد سمعت شيئاً .. انها ليست صماء .. أليس كذلك ؟.

– إذا وضعنا في الاعتبار الفضائح التي قالت انها سمعتها، فلا بد ان تكون لها أذن مرهفة .

– إذن فهي الشاهدة التي نحتاج اليها .. هوذا لاندرومي ..

ودخل المفتش وهو يجفف العرق المتصبب على جبينه ، ويبدو ان المعركة بينه وبين ماري كانت عنيفة .

– لقد ظفرت بها أخيراً واستدرجتها الى الاعتراف بأنها سمعت الطلق الناري في حوالي الساعة السادسة والنصف .. فقد تذكرت ان الساعة دقت النصف بعد السادسة عندما كانت تتحدث مع بائع السمك .. وأنها سمعت الطلق الناري قبل ذلك بلحظات .

– هذا حسن ..

فقال لاندرومي وفي صوته رنة أسف :

– الآن يغلب على ظني أن مدام بروتيرو لا علاقة لها بالجريمة . أولاً لأنه لم يكن لديها متسع من الوقت لارتكابها .. وثانياً لأن النساء ينفرن عادة من

استخدام الأسلحة .. وسلاحهن المفضل هو السم .. كلا .. انهـا لم ترتكب الجريمة ولم تشترك فيها .. وهذا أمر يؤسف له .

وهنا أعلن ملشيت رغبته في زيارة مدام برايس ريدلي فوافق المفتش .

وكانت القضية قد بدأت تثير اهتمامي وفضولي فقلت :

- هل تسمحان لي بمرافقتكما في هذه الزيارة ؟.

فوافقا .

وفتحت الباب خادمة شابة جميلة فسألها ملشيت :

- هل مدام برايس ريدلي بالبيت ؟.

- كلا يا سيدي ..

وصمتت قليلاً ثم استطردت قائلة :

- لقد ذهبت لتوها الى مركز الشرطة .

قال ملشيت ونحن نعود أدراجنا :

- كل رجائي ألا تكون قد ذهبت الى مركز الشرطة للاعتراف بأنها التي قتلت بروتيرو .

الفصل الثالث عشر

تهديد

أدهشني أن تطوف هذة الفكرة بخاطر ملشيت .. ولكني رجحت أن تكون مسز ريدلي قد ذهبت الى مركز الشرطة للادلاء بمعلومات خاصة بالقضية.

وعندما وصلنا إلى مركز الشرطة ، وجدنا مسز ريدلي تتحدث بحدة الى أحد رجال البوليس وعلى وجهها دلائل الانفعال فاقترب منها ملشيت وقال وهو يرفع قبعته محييا .

– أظنك مسز ريدلي

فقلت أحدثها :

– اسمحي لي أن أقدم لك الكولونيل ملشيت مدير الشرطة .

* * *

فرمقتني بنظرة صارمة وابتسمت للكولونيل الذي قال :

– لقد ذهبنا لزيارتك فقيل لنا انك هنا .

– أحقاً ؟. يسرني في الواقع ان تبدأ بالاهتمام بما يقع هنا من أحداث تبعث على الخجل ..

فبهتنا جميعاً .. إذ لم يكن في جريمة القتل ما يبعث على خجل أحد .

قال ملشيت :

– هل لديك ما يلقي ضوءاً على المأساة ؟..

– ان ذلك من صميم عملكم .. وإلا فلماذا تتقاضون مرتبات من الضرائب التي ندفعها ؟.

– اؤكد لك يا سيدتي اننا نبذل قصارى جهدنا .

فقالت وهي تشير الى رجل البوليس

– اذن لماذا رفض هذا الرجل ان يصغي الي ؟.

فقال رجل البوليس :

– يبدو مما فهمته من كلام هذه السيدة ان بعضهم اتصل بها تليفونياً وقال لها كلاماً بذيئاً ..

فقال ملشيت :

– آه .. فهمت الآن .. اذن فقد جئت لتقديم شكوى ؟.

فصاحت مسز ريدلي :

– مثل هذه الأمور لا يجب ان تحدث . يطلبك بعضهم بالتليفون ثم يهينك وأنت في عقر دارك . حقاً لقد ضاعت الأخلاق منذ انتهاء الحرب .

– ذلك رأيي أيضاً يا سيدتي .. ولكن ماذا حدث ؟.

– طلبني بعضهم بالتليفون .

– متى ؟

– أمس مساء . حوالي الساعة السادسة والنصف ، فتناولت السماعة .. وإذا بأحدهم يسبني ويهددني ..

– ماذا قال بالضبط ؟.

فاحمر وجهها وأجابت :

– قال كلاماً أخجل من ذكره .

– هل تلفظ بعبارات مهينة ؟.

– قال انني امرأة سوء أعيش على الثرثرة والنميمة ، وانه سيطلب الى سكوتلنديارد ان تطاردني ثم قهقه ضاحكاً .

فعض ملشيت شفته ليخفي ابتسامة . وقال ·

– وقد استولى عليك الرعب بطبيعة الحال .

– الواقع انني ذعرت ، ولكني استجمعت قواي وسألته : من أنت ؟ فأجاب الصوت : أنا المنتقم .. وضحك مرة أخرى ووضع السماعة . فاتصلت بمكتب التليفونات لأسأل عن رقم التليفون الذي صدرت منه المكالمة ، ولكني لم أصل الى نتيجة .

– هل كان صوت رجل أم امرأة ؟.

– لا أعلم .. كان بين . وكان واضحاً ان المتكلم يحاول تغيير صوته . وقد كدت أصاب بانهيار عصبي . الى حد انني ما ان سمعت صوت طلق ناري صدر من الغابة حتى وثبت من مكاني .. وفي استطاعتك ان تدرك كيف قضيت ليلة أمس .

فقال لاندرومي باهتمام :

– تقولين انك سمعت صوت طلق ناري ؟.

– لقد خيل لي وأنا في تلك الحال انها طلقة مدفع ، فصرخت وسقطت على الأريكة .

– هذا مزعج حقاً .. وكم كانت الساعة وقتئذ ؟. يجب ان نعرف الوقت حتى يتسنى لنا تعقب المكالمة التليفونية .

– كانت حوالي الساعة السادسة والنصف ·

– الآن بوسعك ان تطمئني . فسنبحث عن المتكلم ولا بد ان نجده .

* * *

وانصرفت السيدة وقال لاندرومي :

– لدينا الآن ثلاثة شهود سمعوا الطلق الناري ، وعلينا الآن ان نعرف من أطلقه .. لقد ضللنا مستر ريدنج باعترافه الزائف ويجب علينا الآن ان نبدأ من البداية ، وأول ما يجب عمله هو البحث عن تلك المكالمة التليفونية الغريبة .

الخاصة بمسز برايس ريدلي ؟

– سنبحث عن هذه أيضاً وإلا ضايقتنا هذه السيدة بالأسئلة .. انما أعني في المكان الأول تلك المكالمة الغريبة التي تلقاها القس .

فقال ملشيت :

– نعم .. وذلك هام جداً

– وعلينا بعد ذلك ان نعرف كيف قضى كل انسان في القصر القديم بل وفي القرية كلها وقته بين الساعتين السادسة والسابعة من مساء أمس .

فهتفت قائلاً :

– سيتطلب ذلك مجهوداً كبيراً أيها المفتش

– اني مولع بالمهام الشاقة ..

ثم استطرد قائلاً :

– وسنبدأ الآن بسؤالك أنت أيها القس .

فأجبت :

– بكل سرور . انني تلقيت المكالمة التليفونية حوالي الساعة الخامسة والنصف .

– هل كان المتكلم رجلاً أم امرأة ؟

– امرأة . وقد ظننت انها مسز أبوت .

– هل كان الصوت صوتها ؟.

– كلا .. والواقع إنني لم اهتم وقتئذ بمعرفة من المتكلم .

– وهل ذهبت إلى مزرعة أبوت على الفور ؟.

– نعم .
– سيراً على قدميك ؟. هل لديك دراجة ؟.
– كلا .
– كم تبلغ المسافة الى المزرعة ؟.
– نحو ثلاثة كيلومترات من أي طريق .
– ولكن أقصر طريق هو الطريق الذي يمر بالقصر القديم قصر الكولونيل بروتيرو .
– نعم انه أقصر الطرق ولكنه ليس أفضلها .. وقد سلكت في الذهاب والعودة الممر الضيق عبر الحقول .
– تعني الممر الذي ينتهي عند السور الخلفي لحديقتك ؟.
– نعم .
– وأين كانت زوجتك في ذلك الوقت ؟.
– كانت في لندن ، وعادت بقطار الساعة السادسة والدقيقة والخمسين .
– بحسبي هذا الآن .. ولقد استجوبت خادمتك وبذلك تكون مهمتي هنا قد انتهت . وسأذهب الآن لأستجوب أهل القصر القديم ، ولا بد لي كذلك من التحدث الى مدام لترانج ، فانها ذهبت لمقابلة بروتيرو قبيل مصرعه .

وكان موعد الغداء قد حان فدعوت ملشيت لتناول الطعام معنا ، ولكنه اعتذر ومضى مع المفتش .

الفصل الرابع عشر

رسالة

كنت في طريقي الى البيت لأتناول الغداء عندما مر بي الدكتور هايدوك بسيارته وقال وهو يمضي في طريقه :

– لقد أوصلت مدام بروتير الى بيتها .

وحين دنوت من بيته ، وجدته ينتظرني بالباب، ودعاني الى الدخول فدخلت.

قال وهو يمضي بي الى قاعة العمليات :

– انها قضية عجيبة . أليست كذلك ؟.

وخلع قبعته ، وتهالك على مقعد قديم من الجلد ، وكانت تبدو عليه دلائل التعب والحيرة.. فقصصت عليه كيف توصلنا الى تحديد وقت انطلاق الرصاصة وأصغى إلي وهو شارد الفكر ثم قال :

– اذن فلا صلة لآن بروتير بالجريمة ؟. يسعدني ان أعلم انها بريئة .. وأن لورنس بريء كذلك . فانني أحبها .

وكنت واثقاً من انه يحبها .. ولكنه كان متجهماً وحزيناً حتى كدت ان أسأله لماذا ضايقه اطلاق سراحها .

وأخيراً نهض واقفاً وقال :

– أردت ان أحدثك عن هاوس .. فقد أزعجته هذه الجريمة وأقلقته .

– هل هو مريض ؟.

– انه ليس مريضاً بالمعنى المفهوم . ولكن هل تعلم انه أصيب في وقت ما بالمرض المعروف باسم مرض النوم ؟.

– كلا . لا علم لي بذلك .. وهو لم يحدثني .. ولكن متى أصيب بهـذا المرض ؟.

– منذ نحو عام ، وقد شفي منه بقدر ما يمكن ان يكون الشفاء . ولكنه مرض فريد يؤثر تأثيراً عجيباً على معنويات المريض . وقد يغير أخلاقه وطباعه تغييراً تاماً .

وصمت لحظة ثم قال :

– اننا ننظر الآن بهلع الى الوقت الذي كانوا يحرقون فيه المتهمين بالسحر والشعوذة .. ولكني واثق تماماً من أن يومـاً سوف يأتي . يرتجف فيه الناس هلعـاً عندما يفكرون في الأسباب التي من أجلها يشنق بعض المجرمين في زماننا هذا .

– يخيل الي انك لست من أنصار حكم الإعدام ..

– ليس هذا ما أعنيه ..

وصمت مرة أخرى ثم قال ببطء :

– هل تعلم أيها القس العزيز انني أفضل رسالتي في الحياة على رسالتك ؟.

– لماذا ؟.

– لأن عملك هو التمييز بين الخير والشر ، في حين انني لست واثقاً تمامـاً من وجودهما . وأعتقد ان الناس كثيراً ما يخلطون بين المريض والمجرم . انهم لا يشنقون رجلاً مصاباً بالسل الرئوي .

– طبعاً .. لأن مثل هذا الرجل لا يضر المجتمع ..

– هناك وجهة نظر تقول انه ضار بالمجتمع . لأنه ينشر العدوى ..

ولكن دعنا ننظر الى رجل آخر يزعم مثلاً انه امبراطور الصين . انك لا تستطيع ان تعتبره مجرماً .. أليس كذلك ؟ ولكني مثلك أنظر الى المجتمع

والى ضرورة حمايته . ولذلك أقول اعزلوا أمثال هؤلاء الناس واسجنوهم .. ولكن لا تصفوا السجن والعزل بأنــه عقوبة .. ولا تجلبوا بذلك العــار على العائلات البريئة ..

فنظرت اليه في فضول وقلت :

– هذه أول مرة أسمعك فيها تتحدث على هذا النحو .

– ذلك لأنني لم أتعود التحدث عن نظرياتي على مسمع من جميع الناس . ولكنك رجل ذكي ومثقف وهو مـــا لا أستطيع ان أصف به جميع رجال الكنيسة .

فقلت له بدوري :

– حدثني يا هايدوك .. ماذا تفعل اذا ارتبت في ان شخصاً بعينه ارتكب جريمة ما ؟ هل تشي به .. أم تحاول حمايته .

وكان السؤال مفاجأة له ، فرمقني في غضب وقال :

– ماذا حملك على القـــاء هذا السؤال يا كليمنت ؟. ماذا يدور في رأسك ؟.

– لا شيء سوى اننا نتحدث كثيراً عن الجريمـــة في هذه الأيام ، فأردت ان أعرف كيف تتصرف اذا أتاحت لك المصادفات الفرصة لمعرفة الحقيقة

فانفثأ غضبه على الفور ، وشرد ببصره في الفضاء وقال بعد قليل :

– إذا عرفت الحقيقة .. فانني لا أتردد في القيام بواجبي .

– وما هو الواجب من وجهة نظرك ؟

- هذه مسألة تختلف فيها الآراء يا كليمنت ..

– صدقت ..

ونظرت الى ساعتي وقلت :

– آن لي أن أنصرف تقد تأخرت نصف ساعة عن موعد الغداء .

ووجدت زوجتي ودنيس حول المائدة ، فسألاني عن نشاطي طوال ساعات الصباح ، واهتم دنيس بموضوع التهديد التليفوني الذي تلقته مسز برايس ريدلي ،

واستغرق في الضحك حين وصفت ثورتها وقال :

– انها أسوأ الثرثارات جميعاً . وقد لقيت جزاءها .. انما يؤسفني انه لم تخطر لي فكرة الاتصال بها تليفونياً وإلقاء الذعر في قلبها .. ما قولك في ان نعطيها جرعة ثانية أيها العم ليونارد ؟.

فنهيته عن ذلك بشدة .

وقالت زوجتي :

– هل قلت ان المفتش سيبحث عمن اتصل بك تليفونياً ودعاك للذهاب الى مزرعة مستر أبوت ؟

– نعم .

– انه لن يعرفه .

– ولم لا ؟ إن مكتب التلفون يسجل جميع الاتصالات التليفونية ..

– أحقاً ؟.

وهنا دخلت ماري . وقالت :

– مستر هاوس يرغب في مقابلتك وقد ذهبت به الى قاعة الاستقبال، وجاء رسول يحمل هذا الخطاب وهو ينتظر رداً ولو شفوياً .

ففضضت الخطاب وقرأت فيه ما يلي :

عزيزي مستر كليمنت ..

أكون شاكرة اذا جئت لزيارتي في أول فرصة بعد ظهر اليوم .. انني حائرة واحتاج الى نصيحتك ..

المخلصة

ستيلا لثرانج

* * *

فقلت لماري :

– قولي للرسول انني سأذهب بعد نصف ساعة . ثم نهضت ، وقصدت الى قاعة الاستقبال .

الفصل الخامس عشر

المفتش يعود صفر اليدين

وجدت هاوس في حالة أحزنتني كثيراً ، كان وجهه شاحباً ويداه ترتجفان، وكان ينبغي أن يلزم فراشه . وقد قلت له ذلك ولكنه أصر على أنه بصحة جيدة ، وقال :

– أؤكد لك يا سيدي انني لم أكن طوال حياتي في صحة أفضل مني الآن..

ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك، ولم أجد ما أقوله ، فقد كنت في الواقع أعجب بالرجل الذي يقاوم المرض..ولكن هاوس جاوز في ذلك كل حد قال:

– لقد جئت لأعبر لك عن مدى انزعاجي لوقوع هذه الجريمة المروعة في بيتك .

– الواقع ، إنها جريمة مزعجة حقاً .

- علمت انهم أخلوا سبيل مستر ريدنج ، فهل هذا صحيح ؟.

– نعم .. كان اعترافه غير معقول .

- وهل البوليس مطمئن الآن إلى براءته ؟.

– كل الاطمئنان .

- هل لي أن أسألك لماذا ؟ أعني هل يرتاب البوليس في شخص آخر .

ولم أكن أعتقد أن هاوس ممن يهتمون بالجرائم ، ولكني رددت اهتمامه إلى

أن الجريمة حدثت في بيتي ، وخيل إليّ أن فضوله إلى معرفة الحقيقة لا يقل عن فضول مخبري الصحف .

أجبته :

- ان المفتش لا يصارحني بأسرار عمله ولكني لا أعتقد ان البوليس يراقب في شخص بعينه .

– من تظنه أقدم على إرتكاب هذه الجريمة ؟.

فهززت رأسي ولم أجب فقال :

– أعلم أن بروتيرو لم يكن محبوباً .. ولكن ليس إلى الحد الذي يدعو إلى قتله .. ولا بد أن الدافع إلى الجريمة قوي جداً .

– ذلك رأيي أيضاً .

– فمن يكون لديه مثل هذا الدافع ؟.

– إن رجلاً مثله لا بد أن يكون له أعداء ، خاصة وقد اشتهر بصرامة الأحكام التي كان يصدرها في المحكمة .

– أظن ذلك .

- ألا تتذكر يا سيدي انه قال لك بالأمس فقط أن المدعو آرثر قد هدده؟

– نعم ، اذكر ، وقد كنت أنت على مقربة منا عندما قال ذلك .

– هل أفضيت إلى رجال البوليس بأمر هذا التهديد ؟.

- كلا .

– ولكنك ستفعل ذلك طبعاً .

فلم أجب .. ذلك لأنني لا أحب اتهام شخص في دوامة من المتاعب مع رجال البوليس .. صحيح أن آرثر سارق صيد محترف .. ولكن امثاله كثيرون في كل مكان ، وإذا كان قد أطلق العنان للسانه في سورة غضبه تحت وطأة الحكم الصارم الذي صدر ضده فليس معنى ذلك بالضرورة انه أنفذ تهديده

قلت لهاوس :

– أنت أيضاً سمعت حديث بروتيرو.. فإذا وجدت من واجبك أن تبلغ البوليس فأفعل .

– إن أقوالك انت اثقل وزناً .

– ربما ، ولكني لا أحب ان أساعد في وضع حبل المشنقة حول عنق رجل بريء

- ولكن هب أنه الذي قتل بروتيرو ؟.

– ليس ثمة أي دليل .

– وتهديداته ؟.

– الواقع أن بروتيروهو الذي هدده بسوء المصير إذا مثل أمامهمرة أخرى فصمت هاوس ، وخيل إليّ انه لم يقتنع .

كان متوتر الأعصاب بصورة لم أعهدها فيه ، ولكني تذكرت حديث الدكتور هايدوك عن مرضه والآثار التي تتخلف عنه .

وبعد انصرافه ، قصدت تواً إلى بيت مدام لترانج ، وتذكرت وأنا أدخل البيت ، إن هذه السيدة قد قابلت الكولونيل بروتيرو في الليلة السابقة لمصرعه وتساءلت ، ترى هل تعرف شيئاً يمكن أن يلقي ضوءاً على الجريمة ؟. دخلت قاعة الاستقبال ، فنهضت مدام لترانج لاستقبالي . وأذهلني الجو الرائع الذي تحيط به هذه السيدة نفسها .

كانت ترتدي ثوباً أسود يبرز بياض بشرتها العجيب ، وليس في وجهها الهادىء ما ينم عن حيويتها الدافقة سوى عينيها المتألقتين ..

قالت وهي تمد اليّ يدها :

– كان جميلاً منك أن تحضر يا مستر كليمنت .. انني أردت أن أتحدث اليك عندما قابلتك آخر مرة ، ولكني عدلت عن ذلك وكنت مخطئة .

– لقد قلت لك عندئذ وما زلت أقول إنني في خدمتك .

– نعم .. إنك قلت لي ذلك .. تفضل بالجلوس .

فأطمت ، وجلست هي على مقعد أمامي .. وبعد تردد قصير ، بـدأت تتـكلم ببطء ، وكأنها تزن كل كلمة قبل أن تنطق بها . قالت :

– انني أجـد نفسي في مركز دقيق يا مستر كليمنت ، وأود أن أعرف رأيك فيما ينبغي عليّ عمله .. ان ما مضى قد مضى ولا سلطان لنـا عليه .. هل تفهمني ؟.

وقبل أن أجيب ، فتح الباب ، ودخلت الخادمة وقالت في ذعر :

– بالباب مفتش بوليس يطلب مقابلتك يا سيدتي .

فلم يطرأ أي تغيير على وجه مدام لترانج .. كل ما فعلته أنها أغمضت عينيها ببطء ، ثم فتحتها ، وقالت بصوت هادىء واضح :

– دعيه يدخل يا هيلدا ..

فهممت بالإنصراف ، ولكنها منعتني بحركة من يدها وقالت :

– يهمني أن تكون موجوداً إذا لم يضايقك ذلك .

ودخل لاندرومي وهو يسير بخطى سريعة وبدأ بقوله :

– طاب يومك يا سيدتي .

– طاب يومك أيها المفتش .

وعندئذ وقع بصره عليّ وقطب حاجبيه ..

لم يكن هناك شك في أنه لا يحبني .

قالت مدام لترانج :

– أرجو ألا يضايقك وجود القس ..

– كلا .. إنه لا يضايقني .. ولكن من الأفضل ..

فقاطعته دون أن تلقي بالاً إلى اعتراضه :

– ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك أيها المفتش ؟.

– إنني مكلف بالتحقيق في حادث مصرع الكولونيل بروتيرو..

– حسناً .

- ويهمني أن أعرف كيف قضى كل شخص وقته بين السادسة والسابعة من مساء أمس .. مجرد إجراء شكلي

- هل تريد أن تعرف أين كنت امس بين السادسة والسابعة مساء ؟.

- نعم يا سيدتي . إذا تفضلت .

- حسناً .

وفكرت قليلاً ثم أجابت :

- كنت هنا في البيت .

فلمعت عينا المفتش وقال :

- هل تستطيع خادمتك أن تؤيد ذلك ؟.

- كلا .. لأن أمس كان يوم اجازتها الأسبوعية .

- آه ..

- يجب لسوء الحظ أن تقنع بكلامي .

- أتزعمين انك قضيت المساء كله في بيتك ؟

- إنك سألتني عن الوقت بين السادسة والسابعة مساء أيها المفتش .. أما قبل ذلك فإنني خرجت للنزهة وعدت قبيل الساعة الخامسة .

- حسناً ، ولكن ما قولك في ان احدى السيدات ، وهي بالتحديد مس هارتنيل ، قررت انها جاءت لزيارتك حوالي الساعة السادسة ودقت الجرس ولم تتلق جواباً ، واضطرت إلى الانصراف .. هل تعتقدين انها لم تذكر الحقيقة؟

- على العكس ..

- آه ..

- عندما تكون خادمتك في البيت ، فانها تستطيع أن تقول للزائر غير المرغوب فيه انك لست موجوداً . اما إذا كنت وحدك في البيت فان الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تفعله هو أن تدع الزائر يدق الجرس

فوجم المفتش ، واستطردت مدام لترانج قائلة :

– إن اولئك العجائز يضايقنني .. وخاصة مس هـــارتنيل .. لقد دقت الجرس ست مرات قبل أن تقرر الانصراف

ونظرت إلى المفتش وعلى شفتيها ابتسامة رائعة .

– وإذا قرر أحدهم انه رآك ..

فقاطعته :

– لا أحـد يستطيـع أن يقرر انه راني في الخارج لسبب بسيط هو انـني كنت بالبيت

فأدنى المفتش مقعده قليلاً وقال

– علمت يا سيدتي انك قمت بزيارة الكولونيل بروتـيرو في بيته في مساء اليوم الذي سبق مصرعه .

فأجابت مدام لترانج في هدوء

– هذا صحيح .

– هل استطيـع ان اعرف الدافع إلى هذه الزيارة ؟

– كانت الزيارة لمسألة شخصية .

– انا اسف ولكن يجب ان اسألك عن طبيعة هذه المسألة .

– وأنا لن اجيبك .. وكل ما استطيـع أن اؤكد لك هو اننا لم نقـل في في هذه المقابلة كلمة واحدة يمكن ان تكون لها صلة بالجريمة .

– هذا أمر ليس من حقك تقديره .

– على كل حال ينبغي في هذه المرة ايضاً ان تقنع بما اقوله لك .

– يبدو انني ينبغي ان اقنع بكلامك في أمور كثيرة .

فأجابت وعلى شفتيها نفس الابتسامة الهادئة

– يخيل اليّ ذلك

فصاح المفتش وقد احمر وجهه

– إننا بصدد جريمة قتل يامدام لترانج.. ويجب ان اعرف الحقيقة وسأعرفها

ودق المائدة بقبضة يده .
ولكن مدام لترانج لاذت بالصمت ، فقال المفتش :
- ألا ترين يا سيدتي . انك تضعين نفسك في مركز سيء ؟.
فأصرت مدام لترانج على الصمت .
قال : سوف تطلبين للادلاء بأقوالك في التحقيق .
- حسناً .. سوف أدلي بأقوالي في التحقيق
قالت ذلك بقلة اكتراث ، ولم يجد المفتش بدأ من تغيير أسلوبه .
سأل : هل كنت تعرفين الكولونيل بروتيرو ؟.
- نعم ، كنت اعرفه .
- جيداً ؟.
فترددت قليلا قبل أن تجيب :
- انني لم أره منذ عدة اعوام .
- هل كنت تعرفين مدام بروتيرو ؟.
- كلا !.
- معذرة ولكن يجب ان اقول لك ان زيارتك كانت في وقت غير مناسب.
- إنني لا اتفق معك في ذلك .
- ماذا تعنين ؟.
فأجابت في وضوح :
- كنت اريد مقابلة الكولونيل بروتيرو وحده ، ولم اكن اريد مقابلة زوجته او ابنته ، ولذلك تصرفت على النحو الذي تعرفه .
- لماذا تجنبت مقابلة زوجة الكولونيل وابنته ؟.
- ذلك شأني .
- اترفضين الإدلاء بمزيد من الإيضاح .
- كل الرفض .

فانبعث المفتش واقفاً وقال بحدة :

– إنك تضعين نفسك في مركز حرج يا سيدتي .. فكوني على حذر .

فقهقهت مدام لترانج ضاحكة .. وشعرت في هذه اللحظة بأنه كان ينبغي عليّ ان احذر لاندرومي وان اقول له ان مدام لترانج ليست المرأة التي يسهل ارهابهـــا .

قال وكأنما لينقذ ماء وجهه :

– على كل حال قد أعذر من أنذر .. إلى اللقاء يا سيدتي .. وثقي من اننـــا سنعرف الحقيقة .

وانصرف ، فنهضت مدام لترانج ومدّت يدها إليّ وهي تقول :

– اظن انه يحسن بك ان تنصرف ، فلم تعد بي حاجة إلى نصائحك .. لقد عرفت طريقي ..

الفصل السادس عشر

باحثان هاويان

ما كدت أغادر بيت مدام لترانج حتى التقيت بالدكتور هايدوك عند باب الحديقة ، فسألني وهو يغمز بعينه ويومىء نحو المفتش :

– هل استجوبها ؟..

– نعم ..

– وهل كان مؤدباً ؟.

والأدب فن يجهله لاندرومي تماماً ، ولكني لم أشأ ان أوغر صدر هايدوك عليه ، فأجبته بأن سلوكه كان ممتازاً . وهز هايدوك رأسه ، ورأيته يدخل البيت .

أما أنا فقد سرت في الطريق الى القرية ، وما لبثت ان لحقت بالمفتش الذي يبدو انه تعمد الابطاء في سيره ، وعلى الرغم من كراهيته لي ، فانه لم يكن الرجل الذي يحفل بمشاعره الخاصة ، إذا كان الأمر يتعلق بالحصول على معلومات مفيدة .

سألني :

– ماذا تعرف عن هذه السيدة ؟.

– لا شيء

– ألم تتحدث قط عن الأسباب التي حملتها على الاقامة في هذه القرية ؟
– كلا .
– انك تتردد عليها بين وقت وآخر . أليس كذلك ؟.
– إن زيارة رعايا كنيستي هو أحد واجباتي .
ولم أشأ ان أقول له انها التي أرسلت في طلبي .

وصمت المفتش فترة ، ثم قال :
– كل هذا يبدو مريباً .
– ماذا تعني ؟

– أعني انه لن يدهشني ان يكون محور القضية كلها هو الابتزاز
كانت فكرة شاذة لا يمكن ان يصدقها أحد ممن يعرفون بروثيرو . ومع ذلك فـان كل شيء ممكن ، ولن يكون بروتيرو أول رجل يعيش حياة مزدوجة . وأذكر ان ماربل قد ألمحت مرة الى هذا المعنى .

– فقلت : أيظن ذلك ؟.
– انني لا أظن شيئاً .. ولكن القرائن كلها تشير الى ذلك . وإلا فلماذا تقدم سيدة مجتمع مثل مدام لترانج على دفن نفسها في قرية حقيرة كهذه ؟.. ولماذا ذهبت لمقابلة بروتيرو في وقت غير مألوف ؟. ولماذ تجنبت مقابلة زوجته وابنته ؟. انها عملية ابتزاز ما في ذلك شك ، والابتزاز جريمة يعاقب عليها القانون بصرامة ، ولذلك قلما يعترف بها المتهمون ، ولكننا سنعرف كيف نرغمها على الاعتراف ، وإذا ثبت ان في حياة بروتيرو سراً مشيناً وان هذه السيدة تستعمل هذا السر لابتزاز أمواله فإن التحقيق لا بد ان يتجه وجهة جديدة ومختلفة تماماً . وسأذهب الآن لاستجواب الخدم فقد يكون أحدهم قد سمع طرفاً من الحديث الذي دار بين الكولونيل ومدام لترانج .

– سأذهب معك فانني أريد التحدث الى مدام بروتيرو
– في أي موضوع ؟.

– في موضوع الجنازة .
– آه .. إن جلسة التحقيق في أسباب الوفاة ستعقد يوم السبت .
– نعم ، وهكذا يمكن تشييع الجنازة يوم الثلاثاء .

* * *

ويبدو ان المفتش أسف على خشونته معي ، وأراد ان يكسب مودتي .. فقدم لي غصن الزيتون في شكل دعوة لشهود استجواب سائق السيارة .

وكان السائق شاباً وديعاً في نحو الخامسة والعشرين ، وقد مثل أمام المفتش وعلى وجهه دلائل الخوف والرهبة .

وابتدره لاندرومي بقوله :

– أريد ان أعرف منك بعض المعلومات .. هل أنت الذي قدت سيارة الكولونيل الى القرية ؟
– نعم يا سيدي .
– كم كانت الساعة ؟.
– الخامسة والنصف .
– وهل ذهبت مدام بروتيرو مع زوجها ؟.
– نعم يا سيدي .
– هل ذهبتم الى القرية مباشرة ؟
– نعم يا سيدي .
– ألم تتوقفوا في الطريق ؟.
– كلا يا سيدي .
– ماذا فعلتم لدى وصولكم ؟.
– غادر الكولونيل السيارة قائلاً انه لن يكون بحاجة الي وانه سيعود سيراً على الأقدام ، أما سيدتي فانها تسوقت ووضعت بعض اللفائف في السيارة ،

وعدت بمفردي الى البيت
- تعني انك تركت مدام بروتيرو في القرية .
- نعم يا سيدي .
- كم كانت الساعة وقتئذ ؟
- كانت السادسة والربع تماماً ..
- وأين تركتها ؟.
- أمام الكنيسة يا سيدي .
- هل قال لك الكولونيل الى أين سيذهب ؟.
- قال انه سيذهب الى الطبيب البيطري بشأن أحد جياده .
- حسناً . أظن ان هذا يكفي . آه .. ها هي مس بروتيرو .
وأقبلت ليتيسيا نحونا وهي تسير ببطء . وقالت تحدث السائق :
- أرجو ان تعد السيارة فسنخرج بها .
- حسناً يا سيدتي .
وهرول الى الخارج ، وهمت ليتيسيا بأن تتبعه فقال لاندرومي :
- صبراً لحظة يا آنسة . انني أسعى الى معرفة كيف قضى كل انسان وقته بعد ظهر أمس . فأرجو ألا تجدي في ذلك مساساً بك .
فحملقت في وجهه وأجابت :
- انني لا أعرف في أي وقت فعلت أي شيء .
- أعتقد انك خرجت بعد الغداء .
فأومأت برأسها علامة الإيجاب
- والى أين ذهبت ؟.
- ذهبت لألعب التنس .
- مع من ؟.
- مع هارتلي نابيير

– في (بنهام) ؟.

– نعم .

– ومتى عدت ؟

– لا أعلم .. قلت لك انني لا أذكر شيئاً عن الوقت .

فقلت :

– انك عدت حوالي الساعة السابعة والنصف

– ربما .. عندمـــا عدت كانت (آن) في حالة انهيار عصبي وكانت جريزلدا تواسيها .

فقال المفتش .

– سأذهب الآن لاستجواب الخادمات .

وافترقنا ، فذهب هو الى جناح الخدم بينما صعدت الى الطابق الأول، حيث قالت مدام بروتيرو وتحدثنا بشأن الجنازة ، وفجأة قالت :

– ما أكرم صديقك الدكتور هايدوك !.

– انه خير من عرفت من الرجال .

– حدثني يا مستر كليمنت ، إذا كان زوجي قد قتل أثناء وجودي في بيتك فكيف لم أسمع صوت الطلق الناري

– ثمة دلائل على أنه قتل بعد انصرافك .

– ولكن الرسالة كان مكتوباً بها (الساعة السادسة وعشرون دقيقة) .

– هذه الكلمات كتبت بخط آخر لعله القاتل نفسه .

ففر لونها وغمغمت قائلة :

– يا إلهي !! هذا مخيف .

– ألم تلاحظي ان هذه الكلمات قد كتبت بخط مختلف .

– يخيل الي ان الخطاب نفسه لم يكن بخط زوجي .

كانت ملاحظة صحيحة .. فان خط الرسالة كان مضطرباً .. ولا يكاد

يقرأ .. على عكس ما أعرف من وضوح خط بروتيرو .

سألتني :

- هل أنت واثق من ان لورنس لم يعد موضع ريبة ؟.

- أعتقد انه بمنأى عن كل اتهام .

- من تظنه القاتل يا مستر كليمنت؟.أنا أعرف أن زوجي لم يكن محبوباً.. ولكني لم أكن أعلم أن له أعداء أو على الأقل هذا النوع من الأعداء..

- الحق انه أمر محير .

وتذكرت حديث مس ماربل حين قالت : ان هناك سبعة أشخاص على الأقل..يمكن اتهامهم بقتل الكولونيل بروتيرو .

* * *

وغادرت (آن) وفي نيتي تنفيذ فكرت خطرت لي ، فسرت في الطريق الضيق حتى وصلت الى السور الخلفي لحديقتي ، ثم قفلت راجعاً ، وولجت الغابة من مكان خيل لي ان أقداماً وطأته منذ وقت قريب ، ووشققت طريقي وسط الأشجار المتعانقة .. وفجأة سمعت حركة على مقربة مني ، فتوقفت عن السير ، ونظرت حولي ، ووقع بصري على لورنس .

كان ممسكاً بحجر كبير .. ولا بد ان دلائل الذعر كانت واضحة على وجهي . لأنه انفجر ضاحكاً وقال :

- هذا الحجر ليس أداة جريمة .. ولكنه غصن زيتون ..

- غصن زيتون ؟.

- لعل الأفضل ان نسميه : (وسيلة تفاهم) .. لأنني سأتوسل به لمقابلة مس ماربل والتحدث اليها . فقد قيل لي أن لا شيء يدخل السرور على نفسها كحجر لحديقتها اليابانية .

- هذا صحيح .. ولكن ماذا تريد منها ؟.

- ما أريده منهـا هو الآتي : لو كان هناك بالأمس أي شيء يمكن رؤيته فمن المحقق ان مس ماربل قد رأته .. إن أي شيء مهما بدا تافهاً ومنقطع الصلة بالجريمة يمكن ان يرشدنا الى الحقيقة .

- وعلى كل حال فان المحاولة لن تكلفنا شيئاً .. وأنا مصمم على متابعـة هذه القضية حتى النهاية ..من أجل (آن) .

- انني لا أثق كثيراً في لاندرومي .. انه نشيط ولكن النشاط لا يغني عن الذكاء ..

- هل تريد ان تعمل بوليساً سرياً هاوياً ؟. ان الهواة لا بأس بهم في القصص .. أما في الحياة الواقعية فلا أظنهم يستطيعون منافسة المحترفين .

فنظر الي بخبث وقال وهو يضحك :

- وأنت أيها القس . مـاذا كنت تفعل في الغابة ؟. لقد راودتك نفس فكرتي . أليس كذلك ؟ لقد سألت نفسي كيف استطاع القاتل الوصول الى غرفة المكتب ؟. هناك طريقان .. الممر الضيق ، والسور الخلفي للحديقة .. وطريق الباب الخارجي .. وقد فكرت في احتمال وجود طريق ثالث .. هو طريق الغابة .. وشرعت في البحث عن مكان وطأته الأقدام حديثاً ..وسوف أواصل أبحاثي بعد ان أقابل مس ماربل وأتحقق من ان أحداً لم يأت من الممر أثناء وجودنا في الحظيرة .

- ولكنها أكدت ان أحداً لم يمر ..

- نعم . . لا أحد يهم التحقيق من وجهة نظرها .. ولكن ربما مر ساعي البريد او بائع اللبن أو صبي الجزار .. أو أي شخص آخر كان من الطبيعي ان يمر .. ولذلك لم تلق اليه بالاً ..

* * *

ومررنا معاً في الطريق الى بيت مس ماربل ، وكانت تعمل في حديقتهـا

فرحبت بنا ، وشكرت للورنس اهتمامه باحضار الحجر ، وصارحها الشاب بوجهة نظره فقالت :

– انني أفهم ما تعني .. ولكني أؤكد لك أن أحداً لم يمر بذلك الطريق ليلة أمس .

ثم نظرت إلي وقالت :

– ماذا فعل مفتش البوليس اليوم ؟.

– انه الآن بسبيل استجواب خدم الكولونيل ، على أمل ان يكون بينهم من سمع طرفاً من الحديث الذي دار بين بروتيرو ومدام لترانج .

– سيكون من بواعث الدهشة ألا يجد منهم من سمع طرفاً من الحديث .. ان الخدم دائماً يسترقون السمع .. والرأي عندي ان قصر بروتيرو هو أمل مستر ريدنج الوحيد لمعرفة أية معلومات جديدة .

فقال لورنس :

– ولكن مدام بروتيرو لا تعرف أكثر مما أدلت به .

– لست أعني مدام بروتيرو . إنما أعني خادمات القصر ووصيفاته .. انهن يخشين مصارحة شاب وسيم مثلك ، خاصة وانهن يعلمن انك كنت متهماً بارتكاب الجريمة ..

فقال لورنس بحزم :

– سأقوم بمحاولة الليلة .. وشكراً لك على انك أوحيت الي بهذه الفكرة.

الفصل السابع عشر

من النافذة

فوجئت في صباح اليوم التالي بزيارة المفتش لاندرومي ، ولاحظت أنه أصبح أكثر مودة لي مما كان قبلاً .

قال لي باهتمام واضح :

– لقد عرفت مصدر المكالمة التليفونية التي استدعتك الى مزرعة أبوت .

– أحقاً ؟.

– العجيب ان هذه المكالمة صدرت من بيت الضيافة من القصر القديم ،وهو مبنى منعزل في حديقة القصر ، ولا يقيم به أحد في الوقت الحاضر ، وقد وجدت احدى نوافذه الخلفية مفتوحة . ولكننا لم نعثر على أية بصمات على جهاز التليفون .. ومن المحقق أنها أزيلت .. وهذا دليل كاف على ان الغرض من المكالمة كان إبعادك عن البيت ، لقد دبرت الجريمة بإحكام . ولو كانت المكالمة لمجرد المزاح لما عنى المتكلم بإزالة كل اثر لبصمات اصابعه .

– هذا امر واضح .

– وذلك يدل أيضاً على ان القاتل يعرف القصر القديم وأجنحته المختلفة جيداً ، ومن المؤكد ان مدام بروتيرو ليست هي التي تكلمت ، لأنني عرفت كيف قضت كل دقيقة من وقتها في يوم الحادث ، أما الآنسة ليتيسيا فانها كانت

وقت المكالمة في (بنهام) فلا وجه إذن للاشتباه فيهـــا .. أما الخادمات والوصيفات فلا غبار عليهن كذلك .. كن خائفات ومضطربات ولكن ذلك أمر طبيعي .

– يخيل الي ان كل جهودك حتى الآن قد أسفرت عن نتائج سلبية .

– نعم .. ولا . فقد حدث شيء آخر غير منتظر .

فنظرت اليه متسائلاً وأجاب :

– هل تذكر المكالمة التليفونية التي تلقتهـا مسز برايس ريدلي وتضمنت اهانة لها وتهديداً ؟.

– نعم أذكرها .

– لقد بحثنا أيضاً عن مصدرها .. فماذا وجدنا ..

– هل صدرت من تليفون عام ؟.

– كلا يا مستر كليمنت.. كان مصدرها الكوخ الذي يقطنه لورنس ريدنج.

فهتفت في دهشة :

– أحقاً ؟.

– نعم .. وذلك يبدو عجيباً أيضاً .. أليس كذلك ؟. ويجب ان تلاحظ ان لورنس لا ضلع له في الموضوع .. لأنه كان وقت المكالمـة ، وهو السادسة والنصف ، في طريقه الى الفندق مع الدكتور ستون . وقد قرر الكثيرون أنهم أبصروا بهما . وقد أكد لورنس عند استجوابه بشأن المسدس انه اعتاد ألا يغلق باب كوخه بالمفتاح.. وأن كل أصحاب الأكواخ في المنطقة يفعلون ذلك. فلا بد إذن أن أحدهم تسلل الى الكوخ واستخدم التليفون .. ولكن من هو.. لولا عامـل الوقت لرجحت ان يكون الشخص الذي استخدم تليفون لورنس ريدنج هو نفسه الذي سرق مسدسه وارتكب به الجريمة .. ولكن مما يؤسف له ان المكالمة والجريمة حدثتـا في وقت واحد تقريباً .. هو الساعة السادسة والنصف .

- هل وجدت بصمات على تليفون لورنس ؟..

- كلا ..

وصمت قليلاً ثم سأل فجأة

- ما قولك في تلك المرأة التي ذهبت لزيارة بروتيرو قبل مصرعه ؟.

- تعني مدام لترانج ؟

- نعم .. انني وضعتها تحت المراقبة .. هل تذكر ما قلته لك أمس من انني أرجح ان يكون الابتزاز هو محور الجريمة ؟

- ليس من الضروري ان يكون الابتزاز دافعاً الى الجريمة . ان المبتز لا يقال الدجاجة التي تضع له بيضاً من ذهب .

- اصغ الي يا مستر كليمنت . هـــذه المرأة هي من طراز النساء اللاتي يندمجن في أرقى أوساط المجتمع ليستنزفن اموال الرجال .. هب ان هـــذه المرأة كانت على صلة بالكولونيل في وقت ما ، وانهـا عرفت بعض أسراره ، وانه هجرها ، ثم مضت سنوات علمت بعدها انه يقيم في هذه القرية ، فلحقت به الى هنا ، وحاولت استغلال ما تعرف من أسراره لابتزاز أمواله ، ثم هب انه رضخ لابتزازها بعض الوقت ، ثم ضاق بمطالبها وهددها بابلاغ الأمر الى السلطات .. أفلا يكون الحل الوحيد لتجنب تهمـة الابتزاز هو التخلص من الكولونيل بأقصى سرعة .. وبطريقة لا تدع مجالاً للشك في أمرها ؟.

كان الاستدلال منطقيـاً ومعقولاً .. ولكنني لم أستطع التسليم به لسبب واحد هو شخصية مدام لترانج نفسها .

قلت له :

- انني لا أرى رأيك أيها المفتش .. فان مدام لترانج ليست من ذلك الطراز من النساء .. انها سيدة عظيمة ..

- لا عجب اذا كان هذا هو رأيك .. فأنت قس .. ولا تعرف عن الناس معشار ما أعرف .. ان هـذه المرأة الأنيقة النبيلة المظهر تستطيع ان تعمد

خنجراً في صدرك دون ان يهتز لها هدب .
– لعلها تستطيع ارتكاب جريمة قتل ولكنها لا ترتكب جريمة ابتزاز.
– سوف ترى في النهاية انني كنت على حق .

* * *

وما ان انصرف المفتش حتى قالت لي زوجتي ان مس ماربل أرسلت في طلبي.
وقد وجدت مس ماربل في حالة يرثى لها من الارتباك ذلك انهـا تلقت مكالمة من ابن أخيها ريموند ويست ، الكاتب القصصي المعروف ، يقول فيها انه سيصل في اليوم التالي ليقضي معها عطلة نهاية الاسبوع وكان لا بد لها ان تعد مكاناً وطعاماً خاصاً .
وبعد ان فرغت من إصدار أوامرها للخادمة التفتت الي وقالت بصوت خافت:
– هل تعرف ماذا حدث أمس ؟. لقد أصابني أرق ففتحت نافذتي لأتنسم الهواء .. وماذا رأيت ؟.
وومضت عيناها ببريق غريب واستطردت تقول :
– رأيت جلاديس كرام تسير نحو الغابة وبيدها حقيبة ..
– حقيبة ؟.
– أليس ذلك عجباً ؟. ماذا كانت تفعل بالحقيبة في الغابة في منتصف الليل؟؟.
وتلاقت عيوننا .. وقالت على الأثر :
– قد لا يكون لذلك صلة بالجريمة .. ولكنه أمر لا يخلو من الغرابة ..
– لعلها ذهبت الى مكان الحفريات ؟.
– كلا .. لأنها عادت بعد قليل ومرت تحت نافذتي .ولم تكن الحقيبة معها.
وتلاقت عيوننا مرة أخرى .

الفصل الثامن عشر

التحقيق

عقدت جلسة التحقيق في وفـاة الكولونيل لوسيوس بروتيرو في إحدى قاعات الفندق برئاسة الدكتور روبرتس الذي جيء به من (بنهام) ..ونظراً لأن هذه كانت أول جريمة ترتكب في (سانت ماري ميد) منذ خمسة عشر عاماً ، وقد وقعت في بيت قس ، وذهب ضحيتها رجل ذو شخصية معروفة.. فقد احتشدت القاعة بالنظارة من أهل القرية والمناطق المجاورة ، كما خف الى القرية عدد كبير من مندوبي الصحف اللندنية والاقليمية .

ولم يسفر التحقيق عن جديد .. فقد أدلى الجميـع بأقوالهم على النحو الذي سردته .. فقرر لورنس أنه اكتشف الجثـــة ووجد المسدس ، وعرف انه مسدسه الذي كان يضعه على رف في خزانــة الكتب ، وانه لم يتعود اغلاق باب كوخه بالمفتاح .

وروت مدام بروتيرو كيف انها رأت زوجها لآخر مرة في الساعة السادسة إلا الربـع عندما افترقا في القرية ، وكيف انها ذهبت الى بيتي بعد ذلك بنحو نصف ساعة لكي تلحق بزوجها وتعود معه الى بيتها .. وكيف انهـا لم تسمع حديثاً في المكتب ولم تر زوجها حين أطلت الى الداخل . ثم أجابت رداً على أسئلة المحقق بأن زوجها كان في حالة صحية وعقلية عادية وانهـا لا تعرف له

أعداء يضمرون له سوءاً .

ثم جاء دوري فقلت انني كنت على موعد مع الكولونيل في مكتبي ثم اضطررت الى الذهاب الى مزرعة أبوت ، وعندما عدت ، اكتشفت الجثة واستدعيت الدكتور هايدوك .

ودعي هايدوك فوصف وضع الجثة والاصابة وقرر بصورة حاسمة أن الكولونيل قتل وهو يكتب وان الوفاة حدثت فيما بين السادسة والنصف والسادسة و٣٥ دقيقة. واستبعد فكرة الانتحار تماماً لأنه لم يكن في استطاعة الكولونيل ان يحدث بنفسه تلك الاصابة .

وأدلى مفتش البوليس بشهادة موجزة ، وتحدث عن وضع الجثة ،والرساله التي وجدها ، والساعة المحطمة .

ثم استمع المحقق بعد ذلك الى أقوال ماري . ولم يلحف عليها بالاسئلة بشأن صوت الطلق الناري .

ودعيت مدام لترانج للشهادة ولكنها أرسلت شهادة طبية موقعاً عليها من الدكتور هايدوك تفيد أنها مريضة ولا يمكنها مغادرة الفراش .

* * *

وبعد ان لخص المحقق أقوال الشهود ، أصدر قراره باعتبار الحادث جريمة قتل والفاعل مجهول .

* * *

وما كدت أغادر القاعة بعد انتهاء التحقيق .. حتى وجدت نفسي وسط جيش من الصحفيين ، ووقع بصري على الدكتور ستون فاستنجدت به .. واستطعنا بعد جهد ان نصل الى غرفته بالفندق عن طريق السلم الخلفي .

وكانت مس كرام تعمل هناك على الآلة الكاتبة ، وقال لي ستون انها

تكتب تقريراً وضعه عن حفائره في حدائق بروتيرو .. ثم راح يحدثني عن الفارق بينه وبين الكولونيل بروتيرو ، قال :

– أعلم أنـه مات وان الانسان لا ينبغي ان يذكر الموتى بسوء ، ولكن الموت لا يغير الحقـائق ، وقد كان بروتيرو دعيـاً عنيداً . انه قرأ كتاباً أو كتابين فظن نفسه حجة في علم الآثار أمام رجل مثلي قضى كل حياته في هذه المهنة الشاقة الجاحدة .

وانطلق يحدثني عن الآثار حديثاً فنياً مسهباً اعترف بأنني لم أفهم منه كلمة واحدة .. وكان من الممكن ان يستمر الحديث ساعات وساعات لولا ان قالت له مس كرام :

– اذا لم تنته فسوف يفوتك القطار .

فأمسك الدكتور ستون عن اتمام محاضرته ، ونظر في ساعته وهتف :

– يا الهي . الساعة الثانية إلا ربـع !.

فقالت جلاديس كرام :

– انك دائماً تنسى الوقت كلما استرسلت في الكلام .. والواقع . انني لا أدري ماذا ستفعل بدوني .

– صدقت . ثم نظر الي وقال :

– انها فتاة ممتازة يا مستر كليمنت انها قلما تنسى شيئاً .. كان من حسن حظي حقاً انني قابلتها .

فقلت لنفسي : ان أولئك الذين يتوقعـون زواج ستون من سكرتيرته لم يخطئوا .. ومهما يكن الأمر فان الفتاة ذكية وماهرة .

قالت له الفتاة مرة أخرى :

– أسرع وإلا فاتك القطار .

فهرول ستون الى الغرفة المجاورة وغاب بداخلها بضع دقائق ، ثم خرج حاملاً حقيبته ومظلة ومعطفاً وأغطية .

قال يحدثني :

- سأقضي يومين في لندن ، فأزور والدتي غداً ، وأقابـل محامي غداً ، وأعود يوم الثلاثاء . وبهذه المناسبة ، لا أظن ان وفاة الكولونيل ستؤثر على عملي في الحفريات ، ولا شك ان مدام بروتيرو لن تعارض في استمرار نشاطي.

- لا أظن ذلك

وسقطت منه المظلة فحاول التقاطهـا ، وأفلت منه المعطف وسقط على الأرض ، ولاحظت ارتباكه فتناولت المظلة والمعطف وقلت له :

- سأرافقك الى المحطة .

وأراد أن يثنيني عن ذلك .. ولكني أصررت .

قال لي ونحن نهرول في الشارع :

- لم تبق سوى دقائق معدودات .. المهم ألا يفوتني القطار .

ووصلنا الى المحطـــة في لحظة خروج المسافرين القادمين من لندن ، وكنا نسرع الخطى فاصطدمنـا بشاب وسيم عرفت فيه ريموند ويست . ابن أخ مس ماربل .. وقد ترنح وكاد ان يسقط ، فاعتذرنا له على عجل ، وواصلنا السير ، ولم ألتقط أنفاسي إلا حينما استقر الدكتور ستون على مقعد في احدى مركبات القطار .

الفصل التاسع عشر

للجدران آذان

عدت أدراجي لكي الحق بريموند ويست ، ولكنه كان قد اختفى ، غير انني لمحت لورنس ريدنج في الطريق ..فأسرعت الخطى حتى لحقت به ..

وكان واضحاً أنه سر بلقائي ، فقد قال وهو متهلل الوجه :

– كم كنت مشوقاً إلى رؤيتك لكي أقص عليك مغامرتي في القصر القديم!. هل تعلم ان مس ماربل امرأة بارعة وعلى جانب عظيم من الذكاء !.

– إنها بارعة حقاً .. وهذا هو السبب في كراهية بعض الناس لها .

– إنني عملت بمشورتها فذهبت إلى القصر ، ورجوت مدام بروتيرو أن تيسر لي مهمة استجواب الخادمات ، فدعت وصيفتها ، وتدعى روز ، وهي فتاة جميلة لعوب ، وقالت لها انني اريد أن القي عليها بعض الأسئلة ، ثم تركتنا وانصرفت .

وبدأت في استجواب الفتاة في كياسة ولباقة عما إذا كانت قد سمعت طرفاً من الحديث الذي دار بين الكولونيل والسيدة المجهولة التي زارته قبيل مصرعه وبعد كثير من المناورة والمداورة ، وغير قليل من التودد والإطراء . . اعترفت بأنها لا تعرف عن هذا الموضوع إلا ما أسرت به اليها زميلتها جلوريا ، التي

تعمل مساعدة للطاهية والتي تسللت في تلك الليلة لمقابلة صديق لها ، فمرت تحت نافذة غرفة المكتب .. وسمعت بعض عبارات تبودلت بين الكولونيل والزائرة .

فأرسلت في طلب جلوريا ، واستطعت بعد أن اشتركت مع روز في طمأنتها .. أن أقنعها بترديد العبارات التي سمعتها ، فقالت :

– الواقع إنني لم أسمع الكثير .. ولكن يبدو ان الكولونيل كان غاضباً فسمعته يصيح : أتأتين بعد كل هذه السنين ؟ ولم أسمع جواب السيدة ، لأنها كانت تتكلم بصوت خافت . فقال سيدي : إنني أرفض بشدة .. ويبدو أن السيدة كانت تريد مقابلة مدام بروتيرو .. لأن الكولونيل صاح بعد ذلك هذه فضيحة .. فما كان ينبغي أن تأتي إلى هنا .. لأنني لن أسمح لك بمقابلتها . وتكلمت السيدة بصوت خافت فلم أسمع ما قالت ، ولكني سمعت الكولونيل يصيح لا يهمني ماذا قال هايدوك .. هذه مؤامرة .

فسألت جلوريا :

– ألم تسمعي ماذا قالت السيدة ؟.

– قالت في النهاية عبارة لن أنساها ما حييت ، قالت بصوت رهيب :

– غداً في مثل هذه الساعة قد تكون ميتاً .

– إنني ارتجفت فزعاً عندما سمعت هذه العبارة ، وقد قلت ذلك لروز .

* * *

وصمت لورنس لحظة ثم قال :

– إن هذا الحديث الذي سمعته الخادمة يدل بوضوح على أن اللقاء بين بروتيرو ومدام لترانج لم يكن هادئاً .. والعبارة الأخيرة التي تفوهت بها مدام لترانج كانت تتضمن تهديداً صريحاً . فما قولك في كل ذلك ؟.

فهززت رأسي ولم أجب .

كنت أفكر : ما هو دور هايدوك في هذا كله ؟. ولماذا منع مدام لتراتج من الإدلاء بأقوالها في التحقيق ؟ ولماذا يحرص على حمايتها من البوليس ؟ ترى هل يعلم بأن لها ضلعاً في الجريمة ؟. وهل هو يتستر عليها ؟.

بيد أن صوتاً في أعماقي كان يهمس لي : يستحيل أن ترتكب هذه المرأة الفاتنة ذات الشخصية القوية مثل هذه الجريمة ..

فيجيب صوت آخر : ولِمَ لا ؟. هل لأنها امرأة فاتنة ؟.

الفصل العشرون

القرط ذو الزمردة الزرقاء

عندما عدت إلى البيت ، وجدت في انتظاري أزمة داخلية شديدة ، فقد استقبلتني جريزلدا بقولها :

– إنها سترحل .

– من ؟.

– ماري .. وقد امهلتني أسبوعاً للبحث عن خادمة أخرى .

ولم يكن في ذلك ما يبعث على الانزعاج ، فأجبت :

– هذا حسن . سنبحث إذن عن خادمة أخرى .

والواقع إنني أحسست بالارتياح ، فقد ضقت بالطعام غير الناضج وبالفطائر المحترقة .. ولكن جريزلدا نظرت إليّ مؤنبة وقالت :

– من السهل العثور على خادمة جديدة .. ولكن ليس من السهل تدريبها .

– وهل كانت ماري حسنة التدريب ؟. إن من عرض عليها أجراً أكبر مما تتقاضاه منا سوف يندم على ما فعل .

إنها مسألة كرامة . لا مسألة أجر . لقد دخلت ليتيسيا غرفة المكتب للبحث عن قبعتها الصفراء ، وعابت على مـــاري أنها لم تحسن تنظيف الغرفة وإزالة الغبار عن الأثاث .. فغضبت ماري وصممت على الرحيـل . أرجوك

يا ليونارد .. حاول أن تسترضيها .

* * *

ولم يكن من العسير علي أن أقنع ماري بأن ملاحظة ليتيسيا لا تقدم ولا تؤخر طالما أصحاب الدار راضين عن عملها كل الرضى .

ومن ثم قصدت إلى قاعة المكتب لأعد موعظة الأحد ، ولكني ما كدت أدخلها حتى أحسست بأن في جوها شيئاً مريباً وبغيضاً .. فأردت مقاومة هذا الاحساس قبل أن يستفحل ويتحول إلى عقدة تنفرني من العمل في تلك الغرفة .. واقتربت من المقعد وتذكرت على الفور أن بروتيرو كان يجلس على نفس هذا المقعد عندما أطلقت عليه الرصاصة التي أودت بحياته .

وأجلت البصر حولي ..

نعم .. هوذا القلم الذي كتب به الرسالة وها هي .. السجادة التي سال عليها دمه وترك فيها بقعة لا تزال واضحة رغم المحاولات التي بذلت لتنظيفها ..

ولكن ما هذا ..

وقع بصري على شيء أزرق يتألق عند أحد قوائم المكتب فانحنيت والتقطته كان قرطاً ذا زمردة زرقاء ..

وتذكرت على الفور أين رأيته آخر مرة ..

وبينما كنت أفحصه ، دخلت جريزلدا لكي تقول :

– نسيت أن أقول لك يا ليونارد أن مس ماربل قد دعتنا لقضاء السهرة مع ابن أخيها في بيتها .. وانني قبلت الدعوة .

– حسناً فعلت أيتها العزيزة .

– ما هذا الذي بيدك ؟.

– لا شيء ..

– ودسست القرط في جيبي ..

الفصل الحادي والعشرون

عالم الآثار

لا أستطيع أن اقول انني كنت يوماً ما أحد المعجبين بريموند ويست .

كان قصاصاً موهوباً وشاعراً لا بأس به .. ولكنه كان ثقيل الظل ، وذا شخصية منفرة .

وقد طاف حديثنا معه في تلك السهرة حول الشعر والقصة والجريمة .. إلى ان قالت مس ماربل في مناسبة ما :

– هل تعلم يا مستر كليمنت أن مس كرام زارتني هذا المساء ؟. الواقع إنني قابلتها في القرية مصادفة . ودعوتها لمشاهدة حديقتي .

فسألتها جريزلدا :

– هل هي من هواة فلاحة البساتين ؟.

فأجابت مس ماربل :

– لا أظن .

ثم غمزت بعينها واستطردت قائلة :

– كانت دعوتي لها مجرد ذريعة للتحدث معها .

– وماذا قالت ؟

– انها تحدثت طويلاً عن نفسها وأسرتها . ثم قالت إنها ستقضي نهاية

الأسبوع في قصر بروتيرو .. ولا أدري هل أقحمت نفسها على مدام بروتيرو أم أن مدام بروتيرو قد دعتها لتستعين بها في الرد على الرسائل العديدة التي وردت اليها .. مهما يكن الأمر فان الفتاة ستستمتع باجازة طيبة في غياب الدكتور ستون .

فقال ريموند :

– الدكتور ستون ؟ عالم الآثار المشهور ؟

– نعم .. إنه يقوم ببعض الحفريات في حدائق بروتيرو .

فقال ريموند :

– إنه عالم كبير .. وقد قابلته في مأدبة عشاء منذ أيام ودار بيننا حديث طريف .. اني متشوق إلى رؤيته مرة أخرى .

فأجبته :

– من سوء الحظ أنه سافر اليوم إلى لندن وسيقضي بها ثلاثة أيام .. ولكن كيف لم تعرفه ؟. انه اصطدم بك في المحطة .

– بل أنت الذي اصطدمت بي . وكان برفقتك رجل قصير القامة بدين.

– ذلك هو الدكتور ستون .

– كلا يا عزيزي القس .. ذلك الرجل لم يكن الدكتور ستون .

– كيف ؟.

– انني أعرف الدكتور ستون جيداً .. وأؤكد لك ان الرجل الذي كان معك في المحطة لا يشبه من قريب أو بعيد .

فنظرت الى مس ماربل .. ونظرت هي الي .

قالت بعد لحظة :

– ذلك يذكرني بحادث الرجل الذي طاف بمنازل القرية زاعماً أنه مندوب شركة الكهرباء .

فصاح ريموند :

– انه محتال ولا شك .

فقالت جريزلدا :

– ترى هل لهذا الحادث صلة بجريمة قتل بروتيرو ؟

فقالت مس ماربل :

– ليس من الضروري ان تكون هنـاك صلة .. انـه في ذاته حـادث عجيب .

فقلت وأنا انهض :

– نعم . حادث عجيب حقاً .. يجب ان ابلغ المفتش دون إبطاء .

الفصل الثاني والعشرون

سر الصورة

ما ان اتصلت بالمفتش لاندرومي وحدثته عن ستون وعن الحقيبــة التي شوهدت مع جلاديس كرام حتى طلب الي ان أكتم الأمر عن كل إنسان وخاصة عن مس كرام ريثما يبحث عن الحقيبة في الحفريات .

وفي اليوم التالي، انتهيت من واجباتي في الكنيسة في الساعة الثامنة صباحاً، وقصدت الى البيت لتناول الافطار ، وكانت جريزلدا تنتظرني في قاعة الطعام فقدمت لي رسالة جاءتها منذ قليل هذا نصها :

عزيزتي جريزلدا ..

أكون شاكرة إذا تفضلت مع زوجك بتناول طعام الغداء عندي اليوم ، فقد حدثت أمور غريبة أود ان أستطلع كليمنت بشأنها .

وأرجو ألا تشيرا الى هذه الرسالة عندما تحضران ، فانني لم أنبىء أحداً بأنني كتبت اليكما .

قالت جريزلدا :

- سنذهب طبعاً ..

فأومأت برأسي علامة الايجاب .

قالت .

– ترى ماذا حدث ؟. يخيل إلي ان هذه القضية لن تنتهي أبداً ..

– انها لن تنتهي إلا إذا قبض على القاتل

* * *

وقصدنا الى قصر بروتيرو .. وذهب بنا أحد الخدم الى قاعة الاستقبال ، وهناك وجدنا مس كرام .

كانت مرحة وسعيدة ، وقد رحبت بنا بحرارة ثم قالت :

– الحق انني لم أحلم يوماً بالاقامة في مثل هذا القصر، ولكن مدام بروتيرو كانت كريمة ولطيفة ، فلم يرضها ان أقيم بالفندق وحدي وسط ذلك الجيش من الصحفيين ودعتني للاقامة معها بضعة أيام ، وخاصة وأنهـا في هذه الظروف بحاجة الى سكرتيرة تتقى المكالمات التليفونية وترد على الرسائل .

ثم دعينا الى غرفة الطعام ، وجاءت ليتيسيا بعد قليل فابتسمت لجريزلدا وحيتني باحناء رأسها قليلاً :

كانت كالعهد بهـــا .. جميلة .. فاتنة ، تعيش في دنيا الأحلام وترفض ارتياد ثياب الحداد .

وبعد الطعام والقهوة قالت آن في كياسة :

– أريد ان أتحدث قليلاً مع القس .. سأذهب به الى قاعة الاستقبال .

فنهضت وتبعتها الى البهو .. .. وهناك وضعت أصبعها على شفتها محذرة ، وأمسكت بيدي ، وسارت بي في هدوء حتى نهاية الدهليز . ثم ارتقت معي سلماً صغيراً أوصلنا الى دهليز آخر ..

وهناك فتحت باباً ودفعت بي الى غرفة متربة مليئة بالأثاث المحطم واللوحات والثياب المهلهلة .

ولاحظت آن دهشتي فابتسمت ابتسامة حزينة وقالت :

– يجب ان أقول لك أولاً .. انني كنت في الأيام الأخيرة لا أنام إلا قليلاً.. أو لا أنام على الاطلاق .. وقد حدث في وقت متأخر ليلة أمس انني سمعت حركة في البيت فأصغيت السمع جيداً ثم نهضت وغادرت غرفتي . ولما وصلت الى الدهليز ، تبينت ان الصوت صادر من الطابق الثاني لا من الطابق الأرضي، فوقفت عند الدرج الذي ارتقيناه في التو واللحظة وصحت من هناك ؟.

ولما لم أسمع جواباً . ظننت انني كنت واهمة وعدت الى فراشي .

وفي الصباح الباكر ، صعدت الى هـذه الغرفة بدافع الفضول ، وإليك ما وجدت .

قالت ذلك وتناولت لوحة مسندة إلى الجدران ووضعتها أمامي .. فذهلت .. وأفلتت من فمي آهة عبرت عن دهشتي وذهولي .

كانت اللوحة تمثل صورة زيتية لشخص ما ، وقد مزق وجـه الصورة تمزيقاً مخيفاً أضاع معالمه . وكان واضحاً ان التمزيق حديث .

غمغمت قائلاً :

– هذا عجيب .

– اليس كذلك ؟. بماذا تفسره ؟.

– يخيل إليّ أنه من فعل مجنون في سورة غضب .

– هذا ما ظننته .

– ولكن صورة من هذه ؟

– لا أعلم .. ولم يسبق لي أن رأيتها .. عندما جئت إلى هذا القصر بعد زواجي ، وجدت كل هذه الأشياء هنا فتركتها كما هي ولم أحفل بها .

فشرعت في فحص اللوحات الأخرى ..

كان بعضها يمثل مناظر ريفية والبعض الآخر نماذج للوحات مشهورة في اطارات رديئة الصنع ..

وكان بالغرفة أشياء أخرى مهملة .. بينها حقيبـة كبيرة للثيـاب على

غطائها حرفا س. ب. ففتحتها ولم أجد بداخلها شيئاً ..
ولم يكن هناك أي أثر آخر يمكن أن يرشدنا إلى شيء .

* * *

وذهبت بي مدام بروتيرو إلى قاعة الاستقبال وأغلقت بابها وسألتني :

– ماذا ينبغي أن أفعل ؟. هل أبلغ البوليس ؟.

فأجبت بعد تردد :

– لا أدري ما إذا كان لهذا الحادث صلة بالجريمة .

– لا أظن ذلك .

– إذن فنحن حيال شر جديد .

وساد بيننا صمت عميق قطعته أخيراً بأن قلت :

– هل لي أن أسأل ماذا في نيتك أن تفعلي ؟.

– سأقيم في هذا القصر ستة شهور أخرى على الأقل .. أن التفكير في البقاء هنا يملؤني ذعراً ، ولكن يجب أن أبقى وإلا قال الناس إنني فررت تحت وطأة الندم ووخز الضمير .. وبعد الشهور الستة أقترن بلورنس .

– ذلك ما ظننته .

– أنت لا تعرف كم أنا مدينة لك يا مستر كليمنت . إنك جنبتني ما كان يمكن ان اشعر به بعد مصرع زوجي من خجل لو أننا فررنا معاً .. ولكنك نصحت لنا بألا نفعل ، وأنا لذلك مدينة لك بالشكر ..

– إن من بواعث ارتياحي انني قدمت لكما هذه النصيحة .

– سوف تظل أصابع الاتهام تشير إلى لورنس ما لم يقبض على القاتل .. وهذا احد الأسباب التي تحملني على البقاء هنا لأنني أريد أن اعرف الحقيقة .

وتألقت عيناها ببريق العزم فسألتها :

- وهل لذلك دعوت مس كرام لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معك ؟.

- نعم . انني لاحظت اضطرابها في جلسة التحقيق ، وأيقنت أنها تعرف شيئاً ، وقررت أن أراقبها عن كثب .

- ألم تلاحظي أن الصورة مزقت في اول ليلة قضتها هنا ؟

- هل تظنها الفاعلة ؟. ولكن لماذا ؟. كلا .. كلا.. إنها لم تفعل ذلك ..

وهنا تذكرت أمراً فأخرجت القرط من جيبي وسألتها :

- هذا قرطك . اليس كذلك ؟

- آه .. نعم .. أين وجدته ؟.

ومدت يدها لتتناوله ولكني أطبقت يدي عليه واجبت :

- هل يضايقك أن احتفظ به بضعة ايام اخرى ؟.

- كلا .. بتاتاً .

وظهرت على وجهها دلائل الحيرة والفضول ، فقلت لأغير مجرى الحديث :

- هل لي ان اسألك عن مركزك المالي ؟. قد يكون ذلك فضولاً ولكن ..

- ليس ذلك فضولاً يا مستر كليمنت فأنت وزوجتك من اكرم اصدقائي عليّ وأحبهم اليّ .. لقد كان زوجي غنياً جداً كما تعلم وقد ترك كل ثروته لي ولإبنته بالتساوي .. وكان هذا القصر من نصيبي ، ولكن بوسع ليتيسيا ان تأخذ من أثاثه ما تريد إذا شاءت أن تؤثث لنفسها بيتاً .

- هل تعرفين ماذا في نيتها ان تفعل ؟.

- إنها لا تصارحني بما تعتزمه .. ولكني اعتقد انها تنوي الرحيل في اقرب وقت ممكن .. إنها لا تحبني .. ولم تحبني قط .. رغم انني بذلت قصارى جهدي لإرضائها ..

فألقيت عليها سؤالاً مباشراً :

– وأنت ؟. هل تحبينها ؟

فلم تجب على الفور ، مما ايد اعتقادي بأنها امرأة صادقة ومخلصة .

واخيراً قالت .

– إنني احببتها في البداية .. حين كانت طفلة صغيرة جميلة ، ولكني لا أظن انني احبها الآن .. وربما كان السبب انها هي نفسها لا تحبني .

وانتهى حديثنا عند هذا الحد ، ونهضت آن لتنضم إلى جريزلدا وجلاديس كرام في الحديقة .. اما انا فكانت لديّ مهمة يجب ان اؤديها ..

كنت اريد مقابلة ليتيسيا على انفراد ، وقد وجدتها في غرفتها ودعتني للدخول فدخلت وقلت وانا اغلق الباب :

– أريد ان اتحدث معك يا ليتيسيا ..

فقالت بقلة اكتراث .

– انني مصغية اليك .

فأخرجت القرط من جيبي وانا اعرضه عليها .

– لماذا تركت هذا القرط في مكتبي يا ليتيسيا ؟.

فوجمت لحظة قصيرة ثم اجابت بسرعة ، وبلا مبالاة :

– إنني لم اترك شيئاً في مكتبك .. وهذا ليس قرطي .. إنه قرط آن .

– انا أعلم ذلك .

– إذن لماذا تسألني ؟.

– إن مدام بروتيرو لم تذهب إلى بيتي بعد الجريمة سوى مرة واحدة .. وفي تلك المرة كانت ترتدي ثياب الحداد ولا اعتقد انها كانت تتزين بقرط ذي زمردة زرقاء .

– لعلها فقدته في مكتبك في زيارة سابقة .

– ربما .. ولكن اتذكرين متى تزينت زوجة أبيك بهذا القرط آخر

مرة ؟.

– وهل لذلك اهمية ؟.

– ربما .

– إذن سأحاول ان اتذكر .

واعتدلت في جلستها وقطبت جبينها ، ولا اذكر انني رأيتها في اي وقت مضى أجمل مما كانت في تلك اللحظة .

قالت اخيراً :

– آه .. تذكرت .. إنها تزينت به آخر مرة يوم الخميس الماضي .

– يوم الخميس الماضي هو اليوم الذي وقعت فيه الجريمة . وفي ذلك اليوم ذهبت مدام بروتيرو إلى الحظيرة ولكنها لم تدخل البيت . كل ما فعلته انها أطلت إلى داخل غرفة المكتب .

– اين وجدت هذا القرط ؟.

– تحت مكتبي .

– إذن فهي لم تذكر الحقيقة .

– هل تعتقدين إنها دخلت غرفة المكتب ؟

– هذا امر واضح

وتلاقت عيوننا .

قالت :

– إذا اردت رأيي . فانني لا اعتقد ابداً انها قالت الصدق

– لا اظن ذلك .

– ماذا تعني ؟.

– انني رأيت هذا القرط لآخر مرة صباح يوم الجمعة عندما حضرت إلى هنا مع الكولونيل ملشيت كان القرط موضوعاً على مائدة الزينة في غرفة زوجة أبيك .

فأشاحت عني بوجهها وانخرطت في البكاء .

وتركتها تبكي لحظة ، ثم سألتها في هدوء :

– لماذا فعلت ذلك يا ليتيسيا ؟.

– فعلت ماذا ؟.

واعتدلت جالسة ورأيت على وجهها دلائل الذعر .

– ماذا دفعك إلى هذا التصرف أهو الحقد عليها ؟. أهي الغيرة منها؟.

فصاحت في غضب :

– نعم .. إنني امقتها منذ وضعت قدمها في هذا البيت ، وانا التي وضعت القرط في مكتبك على امل ان يجر عليها ذلك بعض المتاعب.

فقلت لها انني لن انظر إلى محاولتها الفاشلة بعين الجد ، وانني سأعيـــد القرط إلى مدام بروتيرو دون إيضاح ، فتأثرت لذلك وقالت في استكانة :

– هذا كرم منك يا مستر كليمنت .

* * *

وبذلك انتهى الحديث بيننا .

الفصل الثالث والعشرون

سر الحقيبة

عندما ابلغت المفتش لاندرومي بأمر الدكتور ستون المزعوم ، وحدثته عن الحقيبة التي شوهدت مع مس كرام في منتصف الليل ، اتجه تفكير المفتش إلى الحفائر باعتبارها أصلح مكان لإخفاء الحقيبة

وخطر لي ان اتحقق من النتائج التي توصل اليها رجال البوليس ، فقصدت إلى الحفائر ووجدت الشرطي هيرست يشرف على عملية البحث ، وقد قال حالما رآني :

– لم نصل بعد إلى نتيجة ، ولكن هذا افضل مكان يمكن أن تخفي فيه الفتاة الحقيبة .. ثم انه نهاية الطريق الذي سلكته في الغابة .

– أما كان الأيسر ان يستجوب لاندرومي الفتاة مباشرة ؟.

– إنه لم يشأ ان يشعرها بشيء . ولكنها موضع مراقبة شديدة .. ومن المحتمل ان تكتب الى ستون او ان يكتب اليها ما يفضح سرهما .. لقد صدرت التعليمات لمكتب البريد بضبط رسائلها .

– ولكن مس ماربل اكدت ان الفترة بين مرور الفتاة تحت نافذتها ذهاباً وإياباً كانت وجيزة . وهذا يعني ان الفتاة لم يكن لديها متسع من الوقت للوصول إلى هنا .

– وهل تصدق كلام هذه العجوز الخرفة ؟. ثم ان النساء جميعاً لا يحسن تقدير الوقت .

بيد إنني لم اقتنع بهذا الرأي ، ولم اشأ مناقشته وتركته بعد أن تمنيت له التوفيق .

وخطر لي في الطريق ان اقوم بمحاولة .. فسرت في الممر الضيق المؤدي إلى الغابة . وحرصت على ملاحظة الأعشاب واشجار العوسج على طول الطريق . ولفتت نظري بقعة تدل أعشابها على انها وطئت حديثاً .. فمشيت فيها ، وامعنت في السير في جوف الغابة ، وشققت لنفسي طريقاً وسط الأغصان المتشابكة .. وانتهيت اخيراً إلى بقعة جرداء خالية من العشب والأشجار .

وحول هذه البقعة كانت كثافة الأشجار وتشابكها تدل على ان احداً لم يخترقها مؤخراً ..

وانني اجيل البصر حولي . اذا بي أرى شيئاً يلمع تحت الأشجار ، فقصدت اليه .. ومددت يدي .. واخرجت الحقيبة من مخبئها بعد جهد غير قليل ..

وافلتت من فمي صيحة فرح . فقد نجحت حيث فشل لاندرومي ورجاله .

وحاولت ان افتح الحقيبة ، ولكنها كانت مغلقة بالمفتاح .

وعندما هممت بالنهوض ، وقع بصري على قطعة صغيرة من البللور داكنة اللون ، فتناولتها بطريقة آلية ودسستها في جيبي .

وحملت الحقيبة واسرعت بها في الطريق الى البيت ، وما كدت أعبر سور الحديقة حتى سمعت صوتاً يقول :

– ارى انك وجدتها يا مستر كليمنت .. ما ابرعك !.

ولم يسعني الا الاعتراف بأن لدى مس ماربل موهبة خاصة تجعلها ترى

دون ان تُرى ..

ووضعت الحقيبة على السور الذي يفصل بين حديقتينا فقالت :

– إنها نفس الحقيبة التي رأيتهـــا .. هل هي مغلقة يا مستر كليمنت ؟.

– نعم ، وسأحملها تواً الى مركز الشرطة .

– اليس الأفضل ان تتصل بهم تليفونياً ؟. إذا سرت بها في القرية فسوف تلفت اليك الأنظار .

كانت ملاحظة وجيهة

وهكذا حملت الحقيبة الى بيت مس ماربل ، واتصلت بالمفتش تليفونياً .. فقال انه سيحضر فوراً .

وجاء بعد قليل وهو ضيق الصدر مكفهر الوجه . وقال يحدثني وفي عينيه نظرة ارتياب :

– الا تعلم ان الاحتفاظ بمثل هذه الأشياء مخالف للقانون ؟. مـا دمت تعرف مكانها فقد كان ينبغي ان تخطر جهة الاختصاص .

– انني وجدتها مصادفة .. ولم يكن لي علم بمكانها .

فقال ساخراً :

– نعم .. وجدتها مصادفة في هذه الغابة الطويلة العريضة !

وأخرج من جيبه طائفة من المفاتيح أخذ يجربها في قفـل الحقيبـة حتى فتح ..

وبدأت الحقيبة تلفظ محتوياتها .. معطف ازرق ، وشملة قذرة ، وقبعـة رثة . وحذاء ممزق ..

وكان المفتش يتمتم وهو يخرج هذه الأشياء :

- قاذورات قاذورات ..

ولم يبق في قاع الحقيبة سوى لفافة صغيرة فتناولها وفتحها . ولشد ما كانت دهشتنا حين رأينا محتوياتها ..

كانت بهـــا مجموعة رائعة من التحف الفضية .. وطبق من نفس المعدن .

وهتفت مس ماربل :

- هذه تحف الكولونيل بروتيرو .. وهذا الطبق يرجع عهـــده إلى عصر الملك شارل الثاني ، وكان بروتيرو شديد الاعتزاز به ، فمـــا معنى هذا ؟.

فقال المفتش :

- معناه ان هناك حادث سرقة .. وما يدهشني هو أن احـداً لم يبلغ عن اختفاء هـذه التحف .

فقلت :

- لعل أحداً لم يكتشف سرقتها بعد ، ان لهذه التحف قيمة كبـيرة ، وربما كان الكولونيل قد اخفاها في إحدي خزائنه .

- يجب أن أميط اللثام عن الحقيقة .. سأذهب إلى القصر فوراً .. إذن فهذا هو سبب اختفاء صديقنا ستون ؟ لا بـــد انه توقع اكتشاف السرقة ، أو خشي أن نقوم بالتفتيش لاستجلاء غوامض جريمة القتـــل فأوعز إلى سكرتيرته ان تخفي المسروقات في الغابة على أمـل أن يعود لاستردادها ليلا ، وبقيت السكرتيرة في القرية دفعاً للشبهـــات .. ولكن ثمة امر واحد محقق .. هو أن هذه السرقة لا علاقـــة لها بالجريمة .

قال ذلك واعاد الأشياء إلى الحقيبة وحملها وانصرف بعد ان رفض تناول الشراب الذي قدمته اليه مس ماربل .

ولم يبد على مس ماربل انها اقتنعت بتفسير المفتش للحادث .. قالت :

– إن قيمة هذه الأشياء ليست في معدنها ، وإنما في أهميتها التاريخية .. فاذا شاع أنها سرقت ، فان أحداً لن يقدم على شرائها .

– ليتني افهم ما تعنين .

– أعني ان هذه التحف لا بد قد استبدلت بتحف زائفة تشبهها ، وإلا لكانت السرقة قد اكتشفت .. واني أذكر ان الكولونيل قال يوماً انه سيستقدم أحد الخبراء من لندن لتقييم تحفه تمهيداً للتأمين عليها .. ولو قد جاء الخبير لاكتشف على الفور انها تحف زائفة .. ويومئذ لا بد ان يتذكر الكولونيل ان ستون قد شاهد هذه التحف وعرف مكانها ، وانه كان كثير التردد على القصر تحت ستار التنقيب عن الآثار .. ولكن ترى هل جاء ذلك الخبير ؟.

– فهمت ما تعنين وسآتيك بالخبر اليقين

ونهضت إلى التليفون .. واتصلت بالقصر وتحدثت إلى مدام بروتيرو .

– آلو .. آن ؟ إن المفتش في طريقه اليك ، ولكن الأمر ليس خطيراً .. حدثيني يا سيدتي .. هل جاء خبير لتقييم التحف ؟.

وكان جوابها حاسماً وصريحاً ، فشكرتها ، ووضعت السماعة ، وقلت أحدث مس ماربل :

– كان الكولونيل قد اتفق مع الخبير على الحضور يوم الاثنين .. أي

غداً .. ثم ارجأ الخبير قدومه لوفاة الكولونيل .

فقالت مس ماربل :

- إذن فقد كان لدى ستون دافع لقتل الكولونيل .

- نعم .. كان لديه دافع .. ولكن هل نسيت ان ستون كان يسير مع لورنس ومدام بروتيرو في الوقت الذي سمع فيه صوت الطلق الناري ؟.

- هذا صحيح .. وهو كاف لتبرئته .

الفصل الرابع والعشرون

زيارة

عندما عدت إلى البيت ، وجدت هاوس في انتظاري بقاعة المكتب ..

كان يسير في القاعة جيئة وذهاباً ، وهو مستغرق في التفكير فأفزعه دخولي وقال وهو يجفف العرق المتصبب على جبينه :

– معذرة .. فان اعصابي متوترة منذ بعض الوقت .

– يا عزيزي .. يجب أن تخلد إلى الراحة وإلا ساءت حالك .

– لا أستطيع التخلي عن عملي .. ذلك ما لن أفعله أبداً ..

– ومن طلب اليك التخلي عن عملك ؟. أنت رجل مريض وتحتاج إلى الراحة ..

– على كل حال ، أنا جئت الآن لكي أرجوك أن تنوب عني في القاء موعظة هذا المساء .. إذ لا قدرة لي على القائها ..

وأغمض عينيه ، وترنح قليلاً ..

كان من الواضح انه يعاني من أزمة ما .. ويبدو انه ادرك ما يدور بخلدي ، لأنه فتح عينيه على الفور وقال :

– ليس بي من شيء .. سوى ذلك الصداع المؤلم الذي يعذبني .. هل لي في جرعة ماء ؟.

– بكل تأكيد ..

وأحضرت له الماء بنفسي ، فشكرني ، وأخرج من جيبه علبة صغيرة تناول منها قرصاً وضعه في فمه وازدرده مع الماء ثم قال :

– هذا عقار لإزالة الصداع .

وهنا خطر لي انه ربما يتعاطي المخدرات فذلك هو التفسير الوحيد لما يبدو من شذوذه .

والواقع ، ان اضطرابه زال بعد لحظة ، وبدا عليه الهدوء .

قال :

– إذن ستلقي موعظة المساء نيابة عني ؟. هذا كرم منك ؟.

ثم أرسل بصره عبر النافذة وقال :

– لقد زارني مستر ريدنج أمس .. ولا اعلم لماذا .

– ألم يذكر لك سبب زيارته ..

– قال فقط انه جاء ليراني .. إذ لا بد انني أشعر بالوحدة .. مع ملاحظة انه لم يزرني قبل ذلك قط :

فأجبته وأنا ابتسم :

– انه على كل حال شاب جم الأدب حلو الحديث .

– ولكن لماذا جاء لزيارتي ؟. ثم انه قال انه سوف يزورني مرة أخرى .. فما معنى ذلك ؟. وماذا يدور برأسه ؟

وقلب شفته .. وهز كتفيه ، وشكرني مرة أخرى واستأذن في الانصراف فرافقته إلى الباب ..

وقابلتني ماري في البهو وقدمت لي رسالة قالت إنها وردت منذ لحظات.. فقصدت إلى مكتبي وفضضت الرسالة وقرأت فيها ما يلي :

عزيزي مستر كليمنت ..

جـــاءني نبأ على جانب عظيم من الأهمية فأردت أن تكون أنتَ أول من يعلمــه .. ستجدني في انتظـارك في أي وقت بعـد ظهر اليوم .

أماندا هارتنيل

يا إلهي !. إن ثرثرة أولئك النسوة لن تنتهي .

ونظرت الى ســاعتي ، وقررت أن أمر بالمفتش لانــدرومي في مركز البوليس ، للوقوف على نتيجة مهمته في قصر بروتــيرو فوجدته في مكتبــه ، وأمامه الشقراء جلاديس كرام ..

كان يستجوبها .. وكانت تنكر بشدة أنها حملت الحقيبة وذهبت بهــا إلى الغابة .

قالت :

– لقد أخطأت هذه العجوز هذه المرة حين زعمت انهــا أبصرت بي مع الدكتور ستون ومستر ريدنج عقب الجريمة .

فإذا كانت قد وقعت في هذا الخطأ في وضح النهار ، فكيف استطـاعت التعرف علي في منتصف الليل ؟.

فقال المفتش :

– وإذا قرر صاحب الفندق ان الحقيبة حقيبتك ؟.

– سيكون مخطئاً .. فليس على الحقيبة اسم أو عنوان .. أو أية علامــة تميزها .. وهناك مئات من الحقائب تشبهها .

اما اتهامك الدكتور ستون مع كل ما يحمل مؤهلات بأنـــه لص .. فذلك ..

– أترفضين الاعتراف بأنك ذهبت بالحقيبة إلى الغابة ؟.

– لن اعترف بشيء لم أفعله .. ولن أنطق بكلمة أخرى إلا في حضور محامي ، سأذهب الآن .. ما لم تكن تريد القاء القبض علي .

فلم يسع المفتش إلا ان ينهض ويفتح لها الباب ..

وخرجت الفتاة مرفوعة الرأس .

وقال المفتش وهو يقلب كفيه :

– هأنتذا ترى انها تنكر كل شيء .. من المحتمل أن تكون مس ماربل قد أخطأت .. ولن يوجد قاض واحد يصدق ان من الممكن لإنسان ان يتعرف على إنسان من هذه المسافة .. نعم . لا بد أن العجوز قد أخطأت .

– وماذا وجدت بشأن تحف القصر ؟

– كلها موجودة . ولا بد ان بعضها زائف ، وقد أرسلت في طلب أحد الخبراء من بنهام .

* * *

كان علي بعد ذلك أن اعرف النبأ الهام الذي تحدثت عنه مس هارتنيل ، فقصدت إلى بيتها .. ويبدو إنها كانت ترقبني من نافذتها .. لأنها فتحت الباب قبل أن أدق الجرس ، وشدت على يدي بحرارة ، ورافقتني إلى غرفة صغيرة قالت انها افضل لحديثنا . وقدمت لي مقعداً وجلست على مقعد أمامي وبدأت الحديث بقولها :

– أنت تعلم انني استنكر النميمة وأكره الثرثرة .. ولكني وجدت من واجبي في الظروف التي نعيشها الآن ان اقول للمفتش انني ذهبت لزيارة مدام لترانج في يوم الجمعة ولم أجدها ..

وقد زعمت مدام لترانج انها كانت في بيتها وانها لم تشأ استقبالي لسبب لم تذكره . وذلك غير صحيح . لأنني لم اكتف بدق الجرس اكثر من مرة ، وإنما طفت حول البيت ، ونظرت خلال النوافذ .. ولم أجد لها اثراً ..

وأمس ، اكد لي من اثق في صدقه انه رآها في يوم الجريمة فيما بين الساعتين السادسة والسابعة وهي تسير في الشارع الذي يقع فيه بيتك .

ــ انه نبأ خطير .. اليس كذلك !

ــ هل ذكرته للمفتش ؟

ــ كلا .. أردت ان تكون انت اول من يعلم به .. ثم ان المفتش رجل فظ .. يتعذر التفاهم معه .

ــ إذن دعي الأمر لي ..

ــ انني أودي واجبي . ولا انتظر شكراً من أحد .

الفصل الخامس والعشرون

مدام لترانج

كان لا بد لي أن اقطع الشك باليقين في امر مدام لترانج وصلتها المحتملة بصرع بروتيرو ، وخطر لي ان اتحدث بشأنها الى الدكتور هايدوك ، فذهبت اليه ، ووجدته في بيته .. وخيل الي حين رأيته عابساً مهموماً ان السن تقدمت به عشرة أعوام على الأقل خلال الأسبوع الأخير

وقد رحب بي كعادته ، وسألني :

– هل من جديد ؟.

فرويت له ما كشفناه من امر ستون فهتف قائلاً :

– يا له من محتال !. إذن فقد اتخذ من الحفريات ذريعة لسرقة تحف الكولونيل ؟. لقد لاحظت من البداية انه لا يعرف عن علم الآثار إلا القليل ، ولاحظ الكولونيل ذلك أيضاً .. وكثيراً ما تحولت الخلافات بينهما إلى مشاجرات عاصفه .. ولكن ماذا عن مس كرام ؟. هل كانت شريكة له ؟.

– لم يتضح ذلك بعد ، وانا شخصياً لا اظنها على هذا المستوى من الذكاء..

ثم حدثته عن قلقي بشأن هاوس ، وقلت انه يحتاج إلى راحة طويلة ..

وفجأة ، سألني هايدوك وهو يتفرس في وجهي :

– أهذا كل ما عندك ؟
وحينئذ رويت له ما سمعته من مس هارتنيل ، وعما يقال عن الشهـادة الطبية التي تذرعت بها مدام لترانج لعدم حضور جلسة التحقيق ..
وأصغى اليّ هايدوك باهتمام ، وصمت طويلاً ، ثم قال :
– هذا صحيح يا كليمنت .. هذا صحيح . انني بذلت قصارى جهـدي لأجنب مدام لترانج كافة المتاعب والمضايقات ، انها صديقة قديمة .. ولكن الصداقة ليست الدافع الوحيد ، ان الشهادة التي قدمتها في جلسة التحقيق لم تكن مجاملة مني لها كما تعتقدون جميعاً ..
وأمسك عن الكلام لحظة ثم قال بلهجة جدية :
– سأقول لك سراً يا كليمنت .. إن مدام لترانج مقضى عليها بالموت
– كيف ؟.
– إنها لن تعيش اكثر من شهر ، فهل يدهشك بعـــد ذلك حرصي على تجنبها مضايقات التحقيق ؟.
وعندما شوهدت في هذا الشارع في يوم الجريمة .. كانت في طريقهـا الى هذا البيت ..
– ولكنك لم تذكر ذلك قط ..
– ذلك لأنني لم أشأ ان تتناولها السنة السوء بالقيل والقـال .. فـالجميع يعلمون انني لا استقبل المرضى بين السادسة والسابعة مساء .. ولكن يجب أن تصدقني حين أقول لك انها كانت في طريقها إلى هنا .
– ولكنها لم تكن هنا حين استدعيتك عقب اكتشافي الجريمة .
– كلا .. كانت قد انصرفت .. لأنها كانت على موعد .
– وأين كان هذا الموعد ؟. في بيتها ؟
– لا أعلم .. أقسم لك بشرفي يا كليمنت انني لا أعلم .
فصدقته .

ثم تذكرت القطعة البللورية الداكنة التي وجدتها في الغابة فأخرجتها من جيبي ، وسألته :

— هل تعرف ما هذه ؟.

فتناولها وفحصها وأجاب :

— يبدو أنها قطعة متبلورة من حامض البكريك .. وهو أحد مركبات النتريك .. أين وجدتها بحق الشيطان ؟.

- هذا سر من أسرار شرلوك هولمز .

فضحك ، وسألته :

— وما خصائص حامض البكريك ؟.

— ألا تعلم .. إنه مادة متفجرة .

— أليست له استخدامات أخرى ..

- انه يستخدم طبياً كعلاج للحروق .. ونتائجه مدهشة ..

فقلت وأنا استرد القطعة :

— لست أدري إذا كانت لهذه القطعة أية أهمية .. ولكني وجدتها في مكان لا يتوقع فيه وجود البكريك .

الفصل السادس والعشرون

الاحتمالات الثلاثة

كانت الكنيسة غاصة بالناس على نحو لم يسبق له مثيل ، وكان من غير المعقول أن يكون كل هؤلاء الناس قد جاءوا لسماع موعظة (هاوس) وعلى فرض انهم علموا انني الذي سألقي الموعظة .. فمن غير المعقول أن يزدحموا على هذا النحو .. لا بد إذن انهم جاءوا لكي ينظر بعضهم إلى بعض ، ثم لكي يتبادلوا الأنباء ويتناقلوها بعد الخروج من الكنيسة ..

ومهما يكن من أمر فقد رأيت هناك هايدوك ، الذي لم يتعود الحضور إلى الكنيسة ، وكذلك لورنس .. بوجهه الشاحب وهاوس بنظراته الشاردة ومدام بروتيرو .. ولكن هذه كانت تتردد على الكنيسة باستمرار في ايام الآحاد .

كذلك رأيت ليتيسيا وجلاديس كرام وجميع العوانس اللائي ورد ذكرهن في هذه القصة ..

صفوة القول .. ان القرية كلها تقريباً كانت هناك .

وكنت أحرص دائماً على أعداد موعظتي بعناية .. ولكني في هذه المرة لم أجد بدأ من الارتجال ، وبدأت الموعظة بهذه العبارة :

انني لم أجيء لأدعو إلى الخير ، وإنما جئت لأدعو الخاطئين والمذنبين

الى التوبة

وسمعت صوتي يدوّي في أرجاء الكنيسة وسط السكون الشامل وكأنه صوت انسان آخر غير ليونارد كليمنت ، ورأيت جريزلدا ترفع رأسها وتنظر اليّ في دهشة ..

والتقطت أنفاسي ، وواصلت موعظتي .. وتزاحمت الأفكار في رأسي وتدفقت الكلمات من فمي في سهولة ويسر ، وكأنني أقرأ في كتاب مفتوح ، ومددت أصبع الاتهام اكثر من مرة وأنا أهتف انت من أعني .. وفي كل مرة كنت أسمع آهات الأسى والندم ..

وأنهيت الموعظة بهذه العبارة من الانجيل : (والليلة ، سيطلب اليكم أن تقدموا حساباً عما فعلتم بأرواحكم) .

وغادرت الكنيسة .. والناس ما زالوا في أماكنهم وكأن على رؤوسهم الطير ..

وفي الخارج .. كانت جريزلدا في انتظـــاري ، فقالت وهي تتأبط ساعدي :

– انك كنت رائعاً ومخيفاً يا ليونارد .. لقد خيل اليّ في لحظة ما انني لا أعرفك .. لماذا فعلت ذلك ؟.

– لا أعلم .. ربما لأنني أشعر في أعماقي بكل ما في هـــذه القرية من شرور !.

ووجدت في انتظاري رسالة من مس ماربل تقول فيها :

أود أن أحدثك على انفراد عن أمور خطرت لي .. فان من واجبنا جميعاً أن نحاول إماطة اللثام عن سر تلك الجريمة المؤسفة .

سأحضر لمقابلتك في مكتبك في منتصف الساعة العـــاشرة ، وإذا لم يصلني منك رد فسأعتبر هذا الموعد قائماً .

وكانت الساعة لا تزال التـــاسعة .. فخطر لي أن اقضي الوقت في وضع

جدول زمني لأحداث الجريمة بترتيب وقوعها ..

وفي الساعة التاسعة والنصف .. طرق الباب ودخلت مس ماربل .

قالت بعد أن جلست والتقطت أنفاسها :

– لعلك تتساءل عن سبب اهتمامي بهذه الجريمة .. رغم ان ذلك ليس من شؤون النساء .. ولكن الواقع .. ان من يعيش في عزلة في قرية كهذه .. لا يلبث ان يشعر بالحاجة إلى ما يشغله .. هناك طبعاً الكتب .. والتطريز .. والتصوير .. وغيرها .. ولكن هوايتي المفضلة كانت دائماً ملاحظة الناس ودراسة طبائع البشر ، وتبدأ هذه الهواية عادة بتصنيف الناس وفقاً لطباعهم وأخلاقهم ، وسلوكهم كما تصنف الطيور والزهور ، وانها لمتعة حقاً أن تكوّن رأياً عن أحد الناس ثم تثبت الأحداث صدق فراستك .

والآن دعني أسألك قبل أن اتحدث عن خواطري .. هل لديك جديد ؟.

فحدثتها عن الصورة الممزقة ، وعن رسالة مس هارتنيل ، وموقف مس كرام في التحقيق والحوار الذي دار بيني وبين هايدوك .. وأخيراً عن مادة البيكريك التي وجدتها والتي لا أعرف مدى أهميتها .. أو صلتها بالقضية التي نحن بصددها ، ثم قدمت اليها الجدول الزمني الذي وضعته عن أحداث الجريمة وكان كما يلي :

يوم الخميس :

الساعة ١٢,٣٠ أرجأ الكولونيل موعدنا من الساعة السادسة إلى الساعة السادسة والربع .

الساعة ١٢,٤٥ شوهد مسدس لورنس لآخر مرة في مكانه المألوف .

الساعة ٥,٣٠ (تقريباً) غادر الكولونيل وزوجته بيتهما واستقلا السيارة إلى القرية .

الساعة ٥,٣٠ (بالضبط) تلقيت مكالمة تليفونية زائفة صادرة من بيت الضيافة في قصر الكولونيل .

الساعة ٦,١٥ (أو بعد ذلك بدقيقة أو دقيقتين) وصل الكولونيل إلى بيته وأدخلته ماري إلى قاعة الاستقبال .

الساعة ٦,٢٠ وصلت مدام بروتيرو إلى الممر الخلفي واجتازت الحديقة وأطلت من باب شرفة المكتب ولم ترَ زوجها .

الساعة ٦,٢٩ مكالمة تليفونية لمسز برايس ريدلي صادرة من كوخ لورنس ريدنج .

الساعة ٦,٣٠ – ٦,٣٥ سُمع صوت طلق ناري .

الساعة ٦,٤٥ وصل لورنس ريدنج إلى بيتي واكتشف الجثة .

الساعة ٦,٤٨ قابلت لورنس بالباب .

الساعة ٦,٤٩ اكتشفت الجثة بدوري .

الساعة ٦,٥٥ شرع هايدوك في فحص الجثة .

(ملحوظة) الشخصان الوحيدان اللذان لم يقدما حساباً مقنعاً عن تحركاتهما فيما بين الساعة ٦,٣٠ والساعة ٦,٣٥ هما مس كرام ومدام لترانج ، وقد قررت الأولى انها كانت في الحفائر ويمكن الأخذ بأقوالها ، أما الثانية فانها غادرت بيت الدكتور هايدوك في الساعة السادسة وبضع دقائق لتذهب إلى موعد .. ولكن أين ؟. ومع من ؟. إنها شوهدت في الحقول وقت ارتكاب الجريمة .. ولكني لا أرى ما يدعوها إلى قتل بروتيرو .. لأنها لا تفيد من موته .. وكذلك استبعد فكرة الابتزاز التي يتبناها لاندرومي .. ذلك فضلاً عن استحالة حصولها على مسدس لورنس .

قرأت مس ماربل الجدول بعناية وقالت

- الواقع انك أوضحت فيه كل شيء ..

وهنا القيت عليها السؤال الذي يتحير على شفتي :

- بمن ترتابين يا مس ماربل ؟. أذكر انك تحدثت مرة عن سبعة أشخاص .

- ان الحل الصحيح لهذا اللغز يا مستر كليمنت ، هو الحل الذي يفسر جميع الأحداث والملابسات .. ولولا تلك الرسالة اللعينة ..

- أية رسالة ..

- تلك التي وجدت على المكتب .. لقد قلت لك من البداية انه لا يوجد ما يحيرني سواها .

- ولكننا نعلم الآن ان الرسالة كتبت في السادسة والنصف ، وان يداً غريبة ، لا شك انها يد القاتل ، أضافت عبارة (الساعة السادسة و ٢٠ دقيقة) .

- في رأيي أن ذلك ايضاً لا يوضح اللغز .

- كيف ؟.

- اصغ الي ..

وانحنت إلى الأمام ومضت تتكلم بحدة وحماسة .. قالت :

- نحن نعلم ان مدام بروتيرو اجتازت الحديقة ، وذهبت إلى شرفة قاعة المكتب وأطلت من داخلها ونظرت إلى الداخل ، ولم تر الكولونيل..

- نعم .. لأنه كان يكتب

- هنا اللغز . فقد كانت الساعة وقتئذ السادسة و ٢٠ دقيقة .. ونحن متفقون على ان الكولونيل لم يشرع في الكتابة إلا بعد السادسة والنصف لكي يقول في رسالته انه لا يستطيع الانتظار أكثر مما انتظر.. فلماذا جلس امام المكتب في الساعة السادسة و ٢٠ دقيقة ؟.

- الواقع انني لم افكر في ذلك .

دعنا نستعرض الأحداث من البداية يا مستر كليمنت .. لقد وقفت مدام بروتيرو عند باب الشرفة . ولا بد انها ظنت ان غرفة المكتب خالية وليس بها أحد ، ولولا ذلك ما جازفت بالذهاب إلى الحظيرة لمقابلة لورنس .

ولكي تظن ان الغرفة خالية ، لا بد وان السكون كان شاملاً .. وهناك ثلاثة احتمالات لذلك .. الأول أن يكون الكولونيل قد مات فعلاً ، وهو ما لا أظنه .. لأنه لم يكن قد قضى بالغرفة سوى خمس دقائق .

والثاني أن يكون الكولونيل قد شغل بالكتابة .. وفي هذه الحالة لا بد انه كان يكتب رسالة أخرى غير الرسالة التي وجدت ..

– والثالث ؟

– والثالث ان يكون الكولونيل قد غادر قاعة المكتب لفترة من الوقت ثم عاد اليها مرة أخرى .

– ولكن لماذا ؟.

– ذلك ما يجب أن نبحث عنه ..

ونهضت واقفة وقالت :

– هذه هي الاحتمالات الثلاثة التي يجب أن نفكر فيها .

وتنهدت ، واقتربت من باب الشرفة .. وراحت تعبث بشجرة صغيرة في آنية هناك ، ثم هتفت :

– هذه الشجرة توشك أن تذبل يا مستر كليمنت .. إنها بحاجة إلى الماء .. إلى الكثير من الماء ..

وهمّت بالعودة .. ثم توقفت فجأة وهتفت وكأنها تتحدث إلى نفسها :

– آه .. ما أشد غبائي !. هذا واضح تماماً ..

– ماذا قلت ؟.

– لا شيء .. مجرد فكرة خطرت لي .. يجب أن أذهب الآن لأواصل التفكير ..

– ألا تحدثيني عن هذه الفكرة التي خطرت لك ؟.

– ليس الآن .. فقد أكون مخطئة ، ولكن لا أظن ذلك .. إلى اللقاء يا مستر كليمنت .. وشكراً ..

– ألا تزال الرسالة هي العقبة الكؤود ؟.

– الرسالة ؟ إنها زائفة . كان ذلك رأيي فيهـا من البداية .. إلى اللقـاء ..

الفصل السابع والعشرون

الحديث المبتور

رافقت مس ماربل إلى الباب ، وبعد انصرافها ، حانت مني التفاتة إلى صندوق البريد ، فوجدت به خطاباً فتناولته .. وهممت بفضه حين سمعت صوتاً يهتف :

– طاب مساؤك يا كليمنت .. لقد عدت من المدينة الآن وخطر لي أن أتناول معك شراباً .

فوضعت الخطاب في جيبي وهرولت لاستقبال الكولونيل ملشيت ورافقته إلى مكتبي ، وذهبت لأعد له قدحاً من الويسكي ، ولما عدت ، وجدته واقفاً يفتل شاربه أمام المدفأة ..

قال حالما رآني :

– سأنهي اليك أعجب نبأ سمعته يا كليمنت .. هل تذكر تلك الرسالة التي قتل بروتيرو وهو يكتبها ؟.

– اذكرها جيداً ..

– حسناً .. لقد كلفنا احد الخبراء بفحصها لنرى ما إذا كان الشخص الذي كتب الرسالة هو نفسه الذي كتب الساعة والدقيقة .. وقدمنا للخبير نموذجاً من خط بروتيرو .. فهل تعرف ماذا كانت نتيجة الفحص ؟. لقد أكد

الخبير ان الرسالة ليست بخط بروتيرو ..

– هذا مخيف ! إنني اذكر ان مدام بروتيرو قالت لي شيئاً بهـذا المعنى ولكني لم ألق بالاً اليها .. وأعجب من ذلك أن مس ماربل قالت لي منـذ لحظات ان الرسالة زائفة ..

وفي هذه اللحظة دق جرس التليفون فتناولت السماعة ، وسمعت على الفور صوتاً ثاقباً يصيح :

– يجب أن اعترف .. يجب ان اعترف .. يا الهي !.

فصرخت :

– آلو .. آلو .. سنترال .. يا آنسة .. لقد قطعت المحالمة .. مـا رقم التليفون الذي كان على اتصال بي منذ لحظة ؟.

فأجابت موظفة التليفون بصوت هادىء عذب انها لا تعرف .

ووضعت السماعة ونظرت الى ملشيت ، وقلت له :

– انك قلت يوماً انك تجن اذا تقدم شخص آخر واعترف بأنه مرتكب الجريمة .. هل تذكر ؟.

– نعم ..

– هوذا شخص حدثني وقال انه يريد أن يعترف .. ولكن المكالمـة قطعت ..

فوثب ملشيت الى التليفون وصاح :

– سأتصل بمكتب التليفون فوراً ..

– ارجو ان تفعل .. ولعلك ان تكون أحسن حظـاً مني .. أمـا أنا فسأذهب .. إذ يخيل اليّ اني عرفت صاحب الصوت .

الفصل الثامن والعشرون

حيرة

سرت مهرولاً في الشارع الرئيسي ، وكانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة والقرية ساكنة والشوارع مقفرة ، ولكني رأيت النور ينبعث من غرفة هاوس ، فطرقت باب البيت ، وفتحته صاحبته وهتفت حالما أبصرت بي :

– أهذا أنت يا مستر كليمنت ؟.

– طاب مساؤك .. أود مقابلة مستر هاوس ، فلقد رأيت نوراً في غرفته .. ألم ينم بعد ؟.

– لا أعلم ، فانني لم أره منذ حملت اليه طعام العشاء .. ولكنه قضى أمسية هادئة ولم يزره أحد .

فصعدت السلم وثباً ، وكان هاوس يقيم في غرفة مؤثثة بالطابق الأول .. فوجدته مستغرقاً في النوم على الأريكة وبجانبه علبة أقراص فارغة ونصف كوب ماء ، ورأيت على الأرض رسالة مطوية فتناولتها .. وقرأت في بدايتها هاتين الكلمتين :

« عزيزي كليمنت »

وأتممت تلاوة الرسالة وأنا لا اصدق عيني ، ثم دسستها في جيبي وتناولت سماعة التليفون ، وطلبت رقم تليفوني التي تلقيت منه المكالمة المبتورة فكان مشغولاً فرجوت عاملة التليفون ان توصلني بالرقم حالما يخلو .

ووضعت يدي في جيبي لأتناول الرسالة وأعيد تلاوتها ، فمست يدي الخطاب الذي كنت قد وجدته في صندوق بريد البيت .. فأخرجته من جيبي وفضضته ..

كان مكتوباً بخط لا أعرفه . وبغير توقيع .. وقرأته مرة ثانية دون أن أفهم كلمة مما جاء به ، وعندما هممت بقراءته للمرة الثالثة دق جرس التليفون ، فتناولت السماعة كما لو كنت في حلم ، وتكلمت :

– آلو ..

– آلو ..

– أهذا انت يا ملشيت ؟.

– نعم . أين أنت ؟. لقد وجدت الرقم .. انه ..

– انني أعرف الرقم .

– هل تتحدث منه ؟.

– نعم !.

– والاعتراف ؟.

– لقد حصلت عليه .

– هل قبضت على القاتل ؟

وهنا وجدتني في حيرة لم أقع في مثلها طول حياتي نظرت الى هاوس وإلى الرسالة التي وجدتها في غرفته . وإلى علبة الأقراص ، وأجبت أخيراً :

– لا أعلم .. يحسن بك أن تحضر .

وذكرت له العنوان ، وتهالكت على مقعد أمام هاوس ، في حيرة فيما ينبغي عمله

كان أمامي دقيقتان فقط لكي أفكر وأقرر قبل ان يحضر ملشيت .

فتناولت الرسالة للمرة الثالثة وقرأتها من أولها الى آخرها ، ثم أغمضت عيني ، وانصرفت إلى التفكير .

الفصل التاسع والعشرون

القاتل

لا أعلم كم من الوقت بقيت جالساً هناك . كانت بضع دقـائق ولكن خيل الي انها دهر .

وفتح الباب اخيراً ودخل ملشيت ، وبدت عليه دلائل الدهشة حـين رأى هاوس نائماً على الأريكة وهتف :

ــ ما معنى هذا ؟.

فمددت اليه يدي بالرسالة ، فتناولها وقرأها ببطء وبصوت مرتفع :

عزيزي كليمنت .

أري لزاماً عليّ ان انهي اليك نبأ مؤلماً الى أقصى حد ، ولقد اردت أن أحدثك بشأنه ، ثم آثرت بعد التفكير ان ابلغك به كتابة .

انه خاص بالاختلاسات التي تعرضت لهـا أموال الكنيسة مؤخراً ، ويؤسفني ان اقول لك انني عرفت الفاعل بصفة أكيدة لا تدع مجـالاً للشك .

ورغم انه يؤلمني أن اتهم رجلاً من رجال الكنيسة .. فان واجبي واضح وصريح ويجب أن ..

وكف ملشيت عن القراءة ونظر اليّ ..

كانت العبارة الأخيرة قد انتهت بخطوط متعرجة غير مفهومة كما لو كانت اليد الممسكة بالقلم قد فقدت الحركة والحياة .

وتنهد ملشيت ونظر الى هاوس مرة أخرى وقال :

– أخيراً وضعنا أيدينا على مفتاح السر .. على الرجـــل الوحيد الذي لم يخطر لنا ببال .. لا شك نه اعترف بدافع الندم ووخز الضمير .

– لقد اذهلتني غرابة أطواره في الأيام الأخيرة .

وفجأة تقدم ملشيت من هاوس وراح يهزه بعنف .. وصاح :

– انه ليس نائماً .. ويبدو انه تناول مخدراً .. ما معنى هذا ؟.

ووقع بصره على علبة الأقراص فقلت :

– نعم .. انه تناول كمية كبيرة فمات .. وخيراً فعل .

ولكن ملشيت كان شرطياً قبل كل شيء .. فهو لا يتأثر بالاعتبارات التي اضعها في حسابي .

لقد وجد قاتلاً .. فيجب ان يشنق هذا القاتل ..

وأسرع إلى التليفون وتناول السماعة ، وراح يدق الجهـــاز بعنف حتى استجابت اليه العاملة فطلب رقم الدكتور هايدوك .. وصاح :

– آلو .. الو . دكتور هايدوك ؟. هل يستطيع الدكتور هـــايدوك القدوم فوراً الى شارع (هاي ستريت) ؟ منزل مستر هاوس .. ان الأمر عاجل : ماذا تقول ؟. اي رقم هذا إذن ؟. آه .. أرجو المعذرة .

ثم التفت اليّ وقال :

– الرقم غلط كما هي العادة . رغم ان الأمر يتعلق بحياة إنسان . آلو .. آلو .. قلت لك اني أريد الدكتور هايدوك .. رقم ٣٩ لا ٣٥ .

ثم بعد سكوت قصير :

– أهذا أنت يا هايدوك ؟. أنا ملشيت ، تعال بسرعة الى بيت هاوس ، انه تناول كمية كبيرة من عقار مخدر أرجوك ان تسرع . انها مسألة حياة

او موت

ووضع السماعة وراح يذرع ارض الغرفة جيئة وذهاباً ، ثم قـــال وهو يتفرس في وجهي :

– لماذا لم تتصل بهايدوك فوراً يا كليمنت ؟. هل فقدت حضور ذهنك؟.

ولم يخطر ببـــاله ان من الممكن ان ينظر الإنسان الى الأمور من زاوية أخرى غير زاويته .

ولم أجبه فسألني :

– أين وجدت هذه الرسالة ؟.

– على الارض .. لا بد انها سقطت منه .

– من عجب ان مس ماربل كانت على حق حين قالت ان الرسالة التي وجدت في مكتبك ليست هي الرسالة التي كتبها بروتيرو ؟. هذه هي رسالة بروتيرو .. وأصارحك فيما بيننا ان هذا الشاب كان مغفلاً اذ لم يتخلص من هذه الرسالة التي تدينه .. وتعد أقوى دليل ضده .

– ان الطبيعة البشرية مليئة بالمتناقضات غير المفهومة

– لولا هذه الرسالة لاستحال علينا معرفة القاتل .. ولكن المجرمون يرتكبون دائماً غلطة أو حماقة ترشد اليهم . لماذا أنت حزين يا كليمنت . هل ؟ هل صدمك هذا الحادث ؟.

– الواقع ، اني لم اتصور أبداً أن ..

– صه .. هأنذا أسمع صوت سيارة تقف بالباب .

وأسرع الى النافذة وأطل منها وهتف :

– هوذا هايدوك قد جاء .

ودخل هايدوك ، فسرد عليه ملشيت الحقائق بايجاز .

وأسرع هايدوك الي الشاب وجس نبضه ونظر في حدقة عينه ثم تحول إلى ملشيت وقال

– هل تصر على انقاذ حياة هذا الفتى لتدفع به الى المشنقة ؟. انه مريض جداً ولست واثقاً من أنه سينجو

– ابذل قصارى جهدك

– حسناً .

وفتح حقيبته ، وحقن ذراع هاوس ثم قال :

– من الأفضل الذهاب به الى مستشفى (بنهسام) ، فتعاونا معي على نقله الى السيارة .

وحملنا هاوس الى السيارة ، وقال هايدوك وهو يجلس أمام عجلة القيادة :

– هل أقول لك شيئاً يا ملشيت ؟ انك لن تستطيع شنقه .

– هل تعنى انه سيموت ؟

– لا أعلم . ولكنه إذا شفي فلن يعد مسؤولاً عما فعل ، وسوف أشهد على ذلك .

وسألني ملشيت ونحن نصعد درج السلم

– ماذا كان يعنى ؟

فأفهمته بأن هاوس كان مصاباً بمرض النوم ، وما كدت أفرغ من حديثي حتى وقعت مفاجأة مذهلة ، فقد فتح باب الغرفة ودخلت مس ماربل.

كانت محتقنة الوجه ، بادية الانفعال .

قالت :

– أرجو المعذرة عن هذا الازعاج طاب مساؤك يا كولونيل . لقد علمت بمرض مستر هاوس ورأيت من واجبي أن اعرض خدماتي .

فقال ملشيت :

– شكراً لك يا مس ماربل .. ولكن كيف علمت ؟.

– انك تحدثت اليّ خطأ .. ظناً منك انني الدكتورهايدوك .. انا صاحبة التليفون رقم ٣٥ .

– آه ..

– وهكذا جئت .. عسى ان اتمكن من عمل شيء .

– شكرا لك . لقد ذهب به هايدوك الى المستشفى ..

– آه . أستطيع الآن ان اتنفس الصعداء ..

فقلت أحدثها ..

أنظري .

وقدمت اليها الرسالة التي لم يتم بروتيرو كتابتها . فتناولتها ، وقرأتها ، ولم يبد عليها شيء من دلائل الدهشة .

قلت لها :

– يخيل اليّ انك كنت على صواب .

– نعم ، ولكن هل تسمح لي بأن القي عليك سؤالاً يا مستر كليمنت ؟. ماذا جاء بك الى هنا الليلة ؟. كنت أتوقع ان اجد هنا شخصاً سواك انت والكولونيل .

فرويت لها قصة الحديث التليفوني ، فهزت رأسها ببطء وقالت :

– لقد إرسلتكما العناية الإلهية في الوقت المناسب .

– المناسب لماذا ؟.

– لإنقاذ حياة هاوس طبعاً .

فقلت :

– ربما كان من الأفضل له وللجميع بعد ان عرفنا الحقيقة الا تنقذ حياته .

فهزت رأسها واجابت :

– طبعاً .. طبعاً ذلك ما ارادكم ان تظنوه .. لقد ارادكم على ان تعتقدوا بأنكم عرفتم الحقيقة .. ولهذا كانت الرسالة والأقراص ، وحالة هاوس ؛ والاعتراف .. ولكن ذلك كله زيف وخداع .

فنظرت اليها في ذهول ودهشة ؛ ولكنها مضت تقول :

– ولذلك شعرت بالارتياح حين علمت ان هاوس قد نقل إلى المستشفى .. انه سيكون هناك بأمن .. ومتى شفي فسوف يقول لكم الحقيقة .

– الحقيقة ؟.

– نعم ، الحقيقة يا مستر كليمنت .. والحقيقة هي انـه لم يمس شعرة من رأس الكولونيل بروتيرو .

– والمكالمة التليفونية ؟. وهذه الرسالة ؟. وهذه الأقراص ؟. ان الأمر واضح كالشمس .

– قلت لكم ان ذلك هو ما ارادكم على ان تعتقدوه .. إنه ذكي واسع الحيلة .. واحتفاظه بهذه الرسالة وطريقة استخدامه لها يدلان على ذكائـه وسعة حيلته .

– من هو ؟.

– القاتل !.

ثم استطردت قائلة في هدوء :

– القاتل .. لورنس ريدنج .

الفصل الثلاثون

مس ماربل .. بوليس سري

بهتنا ونظرنا الى مس ماربل كما ننظر الى شخص فقد صوابــــه ، وتـكلم ملشيت أخيراً فقال :

– غير معقول لقد ظهرت براءته وسقط عنه الاتهام .

– إنه فعل كل ما يستطيع لكي يصل إلى هذه النتيجة .

– على العكس . إنه فعل كل مــــا يستطيع لكي يتهم بارتـكاب الجريمة . .

– طبعاً .. طبعاً . تلك هي الحيلة التي خدعت الجميع ، وأنا منهم .. هل تذكر يا مستر كليمنت كم كانت دهشتي عندما علمت بانه اعترف بارتـكاب الجريمة ؟. لقــد أطاح اعترافه بكل أفكاري وتصوراتي وأقنعني ببراءتــه .. كنت قبل اعترافه موقنة بأنه القاتل .

– هل ارتبت فيه منذ البداية ؟.

– إن القـــاتل في القصص هو آخر شخص تتجــه اليــه الشبهات .. ولكن هــذه النظرية قلما تصح في الحيـــاة الواقعية .. بل ان عكسها هو الأرجح .

لقد كنت أحب مــــدام بروتيرو .. فلم اتمـالك من الاعتقاد بأنها قد

وقعت تحت سيطرة لورنس تماماً وانها على استعداد لأن تفعل كل ما يطلبه منها :

وطبيعي انه ليس الرجل الذي يفر مع امرأة لا تملك شروى نقير . كان من الضروري بالنسبة اليه أن يموت بروتيرو . ولذلك قتله .. انه من اولئك الأوغاد الظرفاء الذين لا خلاق لهم ولا ضمير ..

فقال ملشيت :

– ولكننا نعرف كيف قضى لورنس وقته حتى الساعة السادسة و ٤٥ دقيقة . فهل كذب هايدوك حين أكد ان الجريمة لا يمكن أن تكون قد وقعت بعد الساعة السادسة والنصف ؟.

– كلا .. ان هايدوك لم يكذب ، وكل ما قاله صحيح .. ولكن لورنس ريدنج ليس هو الذي أطلق الرصاص .. إنما التي أطلقته هي مدام بروتيرو .

فزادت دهشتنا ومضت مس ماربل تقول :

– انني لم أتكلم قبل الآن لأنني أعرف ان الكلام بغير دليل لا قيمة له . وقد وجدت هذا الدليل الليلة حين وقع بصري على آنية زهر في شرفة مستر كليمنت . كانت هذه الآنية هي مفتاح السر كله ..

فنظر إلي ملشيت كمن يريد أن يقول : هذه المرأة قد جنت ..

واستطردت مس ماربل تقول بصوتها الهادىء المهذب :

– لقد شق علي في البداية أن أصدق ما ذهبت اليه ظنوني .. لأنني كنت أحبها .. وعندما اعترف هو أولاً ثم اعترفت هي ثانياً تنفست الصعداء . وشرعت في وضع قائمة بأسماء الأشخاص الذين يتمنون موت الكولونيل .

فقلت :

– الأشخاص السبعة

فنظرت إلي وابتسمت وقالت :

نعم . الأشخاص السبعة .. كان أولهم آرثر .. الذي هــدد بروتيرو على ملأ من الناس ، ثم خادمتك ماري ، صديقة آرثر منذ وقت طويل ، وكان في استطاعتهـا أن تقتــل الكولونيل بمسدس لورنس ، لأن والدة آرثر تعمل في خدمة لورنس .

وكانت هناك ليتيسيا . التي تنشد الحرية والمال لتلهو كما تشاء .

وكان هناك هاوس . أو انت أيها القس .. أعني واحداً منكما .

– أنا ؟.

– نعم أنت .. ومعذرة فانني لم أرتب بـك لحظة واحــدة ولكن كانت هناك المبالغ المختلسة من أموال الكنيسة والتي لا يمكن أن يختلسها سوى أحد إثنين .. أنت أو هاوس . وقد أشاعت مسز برايس ريدلي في كل مكان انك انت المختلس .. وكان دليلها اعتراضك بشدة على اجراء تحقيق .

ثم كانت هناك العزيزة جريزلدا ..

فصاح ملشيت :

– ليست هناك أية شبهة حول مسز جريزلدا، فانها عادت من لندن بقطار الساعة السادسة و ٥٥ دقيقة .

– ذلك مــا قالته هي .. ولكن الواقع أن قطــار الساعة السادسة و ٥٥ دقيقـة وصل متــأخراً نصف ساعة .. أي في الساعة السابعة و ٢٥ دقيقة .. وقـــد رأيت جريزلدا بعيني رأسي في الساعة السابعة و ١٥ دقيقـة وهي في طريقها إلى قصر بروتيرو .. ومعنى ذلك انهــا قد عادت بقطار سابق لأنها شوهدت في مكان مــا في الساعة السادسة .. أظنك تعرف كل هــذه الحقائق يا مستر كليمنت .

ورمقتني بنظرة لم أجد معهــا بداً من أن أقدم اليها الخطاب الذي وجدته في صندوق البريد عقب انصرافها من مكتبي في تلك الليلة .. وكان الخطاب من مجهول يقول فيه ان زوجتي شوهدت في يوم الجريمة وهي تخرج خفية من الباب

الخلفي لكوخ لورنس ريدنج في الساعة السادسة والدقيقة ٢٠ .

إنني لم أتحدث قط في ذلـــك اليوم أو بعده عن آلامي والشكوك التي ساورتني حين قرأت هذا الخطاب فقد تطرق الى ذهني أن زوجتي ربما كانت على علاقة بلورنس ، وان بروتيرو علم بأمر هذه العلاقــة وأراد أن يصارحني بهـا يوم ان جـاء لزيارتي . ومن المحتمل أن تكون زوجتي قـد أدركت ذلك بطريقة ما ، فأخذت مسدس لورنس ، وقتلت به بروتيرو .

كانت هذه كلها مجرد شكوك ، أثارها ذلـك الخطاب عانيت منهـا آلاماً لا تطاق .

قالت مس ماربل وهي تعيد إلي الخطاب :

– هــذا نبأ يتهامس به الناس في القرية ولكن لا أهمية له .

سأعود الآن الى الموضوع الرئيسي . وأعني به موضوع الجريمة .

لقد ذهبت مدام بروتيرو وزوجها الى القرية وغاب عن الناس ملاحظة أمر عجيب . هو ان مدام بروتيرو لم تكن تحمل حقيبة . فانه من غير الطبيعي أن تخرج إحدى السيدات بلا حقيبة .

وقبـل الساعة السادسة بقليل ، مرت مـدام بروتيرو أمـام حديقتي ، ووقفت لتتحدث إلي .. كان يهمها أن ألاحظ انهـا لا تحمل سلاحاً وأنهـا في حالة طبيعية .

وقصدت مدام بروتيرو إلى شرفة غرفة المكتب ، وكان زوجها في تلك اللحظة يكتب اليك يا مستر كليمنت هذه الرسالة التي وجدتهـا الليلة في غرفة هاوس .. فمدت مدام بروتيرو يدها الى آنية الزهور وتناولت المسدس الذي كانت تعلم ان لورنس خبأه هنـاك .. وتسللت الى داخل قاعـة المكتب حتى وقفت وراء زوجها الأصم وأطلقت الرصاص على رأسه . ثم ألقت بالمسدس على الأرض ولاذت بالفرار الى الحظيرة .

فقال ملشيت معترضاً

– وصوت الطلق الناري ؟. انك لم تسمعيه ..

– ألا يوجد جهاز لكتم الصوت ؟ والآن سأتم حديثي لقد لحق لورنس بمدام بروتيرو في الحظيرة .. وكانا يعلمان انني قد رأيتهما يدخلان .. فانني بحكم الطبيعة البشرية لا بد أن أنتظر حتى أراهما يخرجان .. فخرجا وهما يتظاهران بالسعادة والمرح . وتلك غلطة جسيمة . فان شخصين اتفقا على الفراق وودع كل منهما الآخر بعد أن تقابلا لآخر مرة لا يمكن أن يشعرا بالسعادة والمرح . وفي الوقت نفسه ، لم يكن بوسعهما أن يبدو قلقين مهمومين ، حتى لا يؤخذ ذلك قرينة ضدهما عند التحقيق في مصرع الكولونيل .

المهم ، ان لورنس عاد الى بيت القس بعد ذلك ، ودخل قاعة المكتب ولم يغادره إلا في آخر لحظة ، ولا بد انه ظل طول الوقت يرقب عودتك من خلال باب الشرفة . وبذلك تسنى له العمل بهدوء وطمأنينة ، فاسترد المسدس والجهاز الكاتم للصوت وعندما وضع الرسالة المزيفة ، وقع بصره على الرسالة التي تمثل بروتيرو وهو يكتبها ، فقرأها وأدرك بذكائه احتمالات الافادة منها فوضعها في جيبه ثم عبث بعقربي الساعة وجعلها يتفق مع الوقت المذكور في الرسالة وكان الغرض من ذلك هو إثارة الشكوك حول مدام بروتيرو .

وعندما رأى القس مقبلا ، اندفع الى الخارج متظاهراً بالانفعال والجنون ، والتقى بالقس عند الباب . وكان تظاهره هذا عملاً في منتهى الذكاء . فان أول ما يعنى به القاتل عادة بعد ارتكاب جريمته ، هو أن يبدو هادئاً وطبيعياً .. وقد قال لورنس عكس ذلك تماماً .

وبعد أن تخلص من الجهاز الكاتم للصوت ذهب بمسدسه الى مركز الشرطة ، وقدم نفسه واعترف بارتكاب الجريمة .. وانخدع الجميع .

– والطلق الناري الذي قرر ثلاثة أشخاص انهم سمعوه . هل كان مجرد مصادفة ؟ .

فهزت مس ماربل رأسها بشدة وقالت .

– كلا . لم يكن مجرد مصادفة . بل كان لا بد أن يسمع في ذلك الوقت بالذات وإلا ظلت الشبهات تحوم حول مدام بروتيرو .

ولكن كيف دبر لورنس ذلك ؟ الواقع انني لا أعلم بصفة مؤكدة .. ولكنني اعتقد ان حامض البكريك يمكن أن ينفجر فيها بحجر كبير في نفس البقعة التي عثرت منها بعد ذلك على بللورات البكريك .

ان الممكن تدلية الحجر من جـــذع شجرة فوق المكان الذي توجد به بللورات البكريك .. وإيصال الحبل الذي يتدلى منه الحجر بفتيل يستغرق اشتعاله فترة من الوقت محسوبة بدقة فاذا وصلت النار الى الحبل وأحرقته ، سقط الحجر على بللورات البكريك ، ففجرها .

وقـد دبر لورنس الأمر بحيث حدث الانفجار في الساعة السادسة والنصف تماماً .. أي حين كان هو ومـــدام بروتيرو يخرجان من الحظيرة على مرأى من جميع الناس .

إنها خطة محكمة لا تترك وراءها أثراً سوى الحجر ، ولقد رأيته بنفسك يا مستر كليمنت وهو ينقـل الحجر من مكان الانفجار ، وكان ظهورك أمـامه مفاجأة له ولكنه يخلص من المأزق بلـاقة وبراعة فزعم ان الحجر لحديقتي اليـابانية ، وغـــاب عنه ان هـذا النوع من الاحجار لا يصلح للحدائق اليابانية .

فقال ملشيت :

– كل هذا معقول يا مس ماربل .. ولكن بمـــاذا تفسرين مكالمة هاوس التليفونية ورغبته في الاعتراف ؟ .

أظن ان الموعظة التي القاها مستر كليمنت لعبت دوراً في هذا الصدد .. هل تعلم يا مستر كليمنت انها كانت موعظة رائعة ؟ . لا بد أنها تركت في نفس هارس أثراً عميقـاً فناء تحت ثقـل النـدم ووخز الضمير .. وقرر الاعتراف باختلاس أموال الكنيسة . وشاءت ارادة الله ان يكون هـذا القرار سبباً في

إنقاذ حياته .. لأنني أرجو ان يتمكن الاطباء من انقاذ حياته .

ويخيل إلي ان لورنس قرأ رسالة بروتيرو جيداً ، وفهم منها ان هاوس هو المقصود ، فجـــاء لزيارته ، واستبدل الاقراص التي يتناولها هاوس للعلاج بأقراص سامة أو مخدرة ، ثم دس رسالة بروتيرو في جيبه .. حتى اذا مـــات ، ووجدت الرسالة ، ظن الجميع انـــه الذي قتل بروتيرو وانه مـــات منتحراً .

ولا بد أن يكون هاوس قد شعر بتأثير السم بالاضافة الى تأثير الموعظة ، فخشي ان يموت قبل أن يعترف وينـــال الغفران .. وكان ان اتصل تليفونياً بمستر كليمنت .

– وما قولك في المكالمة التليفونية التي تلقتها مسز برايس ريدلي والتي ثبت صدورها من كوخ لورنس ريدنج ؟.

– ان مدبرة هذه المكالمة هي العزيزة جريزلدا ، ربما بالاشتراك مع دنيس ، ولا شك انهما علما بالشائعات التي أطلقتها مسز برايس ريدلي ضد القس فقررا ان يلقناها درساً .. وربما وقع الاختيار على تليفون لورنس لانهما يعلمان انه لا يغلق باب كوخه .

فقال ملشيت :

– اعترف بأن تحليلك للأحداث منطقي ومعقول يا مس ماربل . ولكني ألاحظ انك لم تقدمي دليلاً واحداً .

– هذا صحيح مع الأسف . ولكنك اقتنعت بوجهـــة نظري . أليس كذلك ؟

– نعم . ولكن الاقتناع لا يغني عن الأدلة

– لقد خطر لي .

ماذا ؟.

– خطر لي اننا نستطيع أن نعد فخاً

الفصل الحادي والثلاثون

الفخ

هتف ملشيت قائلا :

– فخ ؟ أي نوع من الفخاخ ؟.

فظهر التردد على وجه مس ماربـــل ، ولكن كان واضحاً ان لديها فكرة .

قالت :

– من الممكن مثلا الاتصال به تليفونياً وتحذيره .. ومراقبة رد الفعل .

فلم يتمالك ملشيت من الابتسام ، وقال :

– نعم كان يقول له بعضهم (اهرب .. فقد عرفت الحقيقة) .. ولكن هذه خدعة بسيطة يا مس ماربل . ولا احسب انها تجوز على مجرم ذكي مثل لورنس .

– لنبحث إذن عن خدعة أخرى . هب ان شخصاً معروفــاً بالصدق والامانة .. كالدكتور هايدوك مثلا . . اتصل به تليفونياً وقال له ان مدام سادلر ، صاحبة البيت الذي يقيم فيه هاوس ، أو أحد أولادها ، قد رآه وهو يستبدل أقراص الدواء بالاقراص السامة . اذا حدث ذلك وكان لورنس بريئاً فانه لن يعبأ بالنبأ .

– واذا كان مذنباً ..
– إذا كان مذنباً فمن المحتمل أن يقدم على حماقة ما تؤيد الاتهام .
– هذه فكرة حسنة يا مس ماربل ولكن هل يوافق الدكتور هايدوك على الاشتراك في تنفيذها ؟ أنت قلت انه انسان صادق وامين .

فقلت :
– لماذا لا نحاول ؟؟
وحاولنا .. وكانت النتيجة مذهلة ، اذ صاح هايدوك في غضب .
– ويل للمجرم الأثيم .. انني لا أغفر له انه كاد يودي بحياة شاب مسكين يعول أماً وأختاً تصوروا العار الذي كان سيحل بهاتين التعيستين متى ذاع ان عائلها ارتكب جريمة قتل وانتحر !! ان هذا المجرم ليس جدير بالحياة .

ونجحت الخدعة على نحو غير متوقع .. فلم يكد لورنس يتلقى مكالمة هايدوك ويعلم أن أمره قد افتضح حتى في الفرار ،ولكنه تذكر أن له شريكة ينبغي تحذيرها ، فاتصل بمدام بروتيرو تليفونياً وطلب اليها انتظاره عند الحفائر لأمر هام ..

ولم يفطن الى ان تليفونه ومحادثاته كانت تحت مراقبة البوليس ، ولم يشعر بالشرطيين السريين اللذين تعقباه وسجلا ما دار بينه وبين شريكته من حديث .
ولست بحاجة الى سرد تفاصيل محاكمة لورنس وشريكته ، فالقضية لا تزال ماثلة في الاذهان ..

بقي أن أقول أن ليتيسيا زارتني في مكتبي في الايام الأولى للقضية وصارحتني بانها كانت واثقة منذ البداية من اشتراك آن في الجريمة . وان القبعة الصفراء التي زعمت فقدها لم تكن إلا ذريعة للبحث عن أدلة أو آثار ربما تكون قد غابت عن رجال البوليس ، وانها عندما أعيتها الحيلة عمدت الى وضع

القرط في مكتبي للايقاع بزوجة أبيها ، وبررت ذلك بقولها ان الغاية تبرر الواسطة ..

- وماذا في نيتك أن تفعلي الآن ؟

فأجابت :

- عندما ينتهي كل شيء .. سأذهب الى الخارج .

ثم أردفت بعد تردد قصير .

مع امي .

فألجمتني الدهشة .. ونظرت اليها متسائلاً فقالت :

- ألم تدرك ان مدام لترانج هي أمي ؟. انها مريضة بالسرطان ولا أمل في شفائها .. وقد أرادت ان تراني قبل موتها ، ولذلك جئت الى هذه القرية . وبذل الدكتور هايدوك قصارى جهده لمساعدتها ، لأنهما كانا صديقين ، ولأنه كان يحبها قبل أن تتزوج من أبي بل وأعتقد انه لا يزال يحبها .

وعندما ذهبت أمي لزيارة أبي ، كان غرضها من الزيارة أن ترجوه في أن يسمح لها برؤيتي .. ولكنه رفض وكان فظاً غليظ القلب

ولم تجد أمي بدأ من الكتابة إلي ، وحددت لي موعداً .. وكان لقاؤنا الأول بين الحقول في الساعة السادسة والربع من مساء يوم الخميس.. اليوم الذي حدثت فيه الجريمة ، وقد أشفقت فيما بعد أن تحوم الشبهات حول أمي .. ولذلك عمدت الى تمزيق صورة كانت لها في القصر .. خوفاً من أن يجد رجال البوليس الصورة اذا قاموا بالتفتيش .. فتنكشف لهم حقيقة مدام لترانج ، وتزداد شكوكهم في أمرها .

وقد كان الدكتور هايدوك يعاني من مثل مخاوفي .. بل لعله كان يعتقد أن أمي هي التي ارتكبت الجريمة .. فهو يعرف عنها الصلابة والعناد ، وانها اذا صممت على أمر فعلته دون نظر الى العواقب .

إن صلتي بأمي على قصرها ، أقوى من الصلة التي كانت بيني وبين أبي ،

وقد قررت أن أرحل معهـا الى الخارج .. وأن ألازمهـا حتى يقضي الله في أمرها ..

قالت ذلك ونهضت ، فقلت وأنا أشد على يدها :

– أسأل الله أن يرعاك يا بنيتي .. وأن يهييء لك السعادة التي انت جديرة بها .

فمرت على شفتيها ابتسامة حزينة وقالت :

– أرجو ذلك .. فانني لم أعرف حتى الآن طعم السعادة .

بقيت كلمة أخيرة .

فقد عاد الدكتور ستون المزعوم الى القرية لاسترداد التحف التي سرقها من قصر بروتيرو ، فألقي القبض عليه ، وثبت انه محتال ولص خطير .

أما مس كرام فقد اعترفت باخفاء الحقيبة في الغابة ، وقالت انها فعلت ذلك بحسن نية فلم تكن تعرف محتويات الحقيبة كما لم تكن تعرف شيئاً عن حقيقة ستون ، فأطلق سراحها . وآخر ما سمعته عنها انها تبحث عن شاب ثري تعمل سكرتيرة له .

– تمت –